"صلصلـــــة الجــــرس"

ترجمه وعلق عليه

جلال السعيد الحفناوي

راجعــه

سمير عبد الحميد إبراهيم

تقديم

بقلم الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم

من المعروف للدارسين المتخصصين أن ديوان محمد إقبال " بانك درا " أو "صلصلة الجرس " أي جرس القافلة هو أول ديوان نشره إقبال بالأردية، وذلك في سنة ١٩٢٤م ، ومنذ ذلك الوقت طبع الديوان أكثر من أربعين مرة ، وقد رغب إقبال في تعريف القراء بتاريخ قصائده في الديوان ، فقسمه إلى ثلاثة أقسام : تضمن القسم الأول منها بعض أشعاره الأولى حتى سفره إلى أوربا عام ١٩٠٥م ، بينما تضمن القسم الثاني أشعاره التي نظمها أثناء إقامته في أوربا ما بين عامي ١٩٠٥م و ١٩٠٨م ، وتضمن القسم الثالث ما نظمه بعد عودته إلى الهند وحتى سنة ١٩٢٤م وهو تاريخ نشر الديوان .

وقد تضمن هذا الديوان قصيدة " شكوى" و "جواب شكوى" المعروفة ، كما تضمن أيضا قصيدة طويلة بعنوان " خضر راه " وأخرى طويلة بعنوان "طلوع اسلام " ، كما تضمن الديوان أيضا أعظم قصائد الرثاء التي نظمها إقبال ، وهي القصيدة التي رثى بها أمه بعد وفاتها ، وتعتبر من أشهر قصائد الرثاء في الأدب الأردي .

ومما يزيد من أهمية هذا الديوان أنه تضمن أيضا أغلب ما نظمه إقبال ، وما ترجمه نظما في صباه لشعراء آخرين ، كما أنه يوضح للقراء وللدارسين بصفة خاصة مراحل التطور الفكري عند إقبال قبل سفره إلى أوربا، وأثناء إقامته بها ، وبعد عودته إلى الوطن حتى سنة ١٩٢٤م ، ومن الغريب ألا يترجم الديوان كاملا إلا إلى لغة " البشتو " ، ومع هذا فقد ترجمت أهم منظوماته إلى اللغات المختلفة ومنها العربية ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الترجمة النثرية التي قام بها الدكتور جلال الحفناوي لتسد فراغا ظل شاغرا في المكتبة العربية ، فيما يتعلق بإقبال .

لقد اشتهر هذا الديوان في شبه القارة لأسباب عديدة منها :

- أنه كتب بالأردية بلغة سهلة واضحة إذا ما قورن بدواوين الشعراء الآخرين (رغم أن هذه السهولة في اللغة لا تعني بساطة المعاني التي أوردها الشاعر) .
- وأنه تضمن الغزليات والقصائد التي اشتهرت لسنوات بين الناس في شبه القارة ، وجرى معظمها على ألسنة الناس من لاهور حتى حيدر آباد الدكن .

- وأنه تضمن غزليات كتبها إقبال على نهج ما كتبه كبار الشعراء مثل داغ وأمير وغيرهما .
- وأن معظم ما ورد في الديوان كان قد نشر في مجلات وصحف الهند ، كما تضمن أيضا ترجمة لأشعار شعراء غربيين ، وتضمن شعرا نظمه إقبال للأطفال .
- وأهم من كل هذا هو أن الديوان تضمن موضوعات شعرية مختلفة مثل شعر الطبيعة ، والشعر السياسي ، والشعر الفلسفي ، والشعر الإصلاحي ، وحتى الشعر الهزلي .

إن ديوان " صلصلة الجرس " لا يلقي الضوء فقط على التطور الفكري لإقبال بل يوضح أيضا تطور اللغة الشعرية عند إقبال ، ومن هنا فهو يعد مصدرا ومرجعا للمهتمين بدراسة إقبال وفكره .

وختاما أجد لزاما علي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى المجلس الأعلى للثقافة ممثلا في شخص أمينه العام الأستاذ الدكتور جابر عصفور لنشر هذه الترجمة النثرية لديوان " بانك درا " (صلصلة الجرس) التي بذل فيها الدكتور جلال الحفناوي جهدا كبيرا ، ملتزما بالنص الأصلي ، مما جعله يعيد الصياغة أكثر من مرة ، مضيفا بعض التعليقات المفيدة ، والأمل معقود في أن ينتهي قريبا من ترجمة بقية دواوين إقبال الأردية ، حتى يقف القراء العرب على حقيقة ما نظمه إقبال بالأردية .

وبالله التوفيق .

دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم

مقدمـــة المترجـــم

يسعدنى أن أقدم للقارئ العربى ترجمة نثرية كاملة لديوان "بانك درا" أى صلصلة الجرس للشاعر محمد إقبال من الأردية أى العربية للمرة الأولى وقد كانت أمنية الانتهاء من هذه الترجمة تراودنى عندما كنت طالباً فى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة

القاهرة حيث درست قصائد متفرقة من هذا الديوان ملكت على مشاعرى لتزاحم الصور الشاعرية فى كل بيت من أبيات هذه القصائد ، ثم شغلت بعد ذلك بإعداد رسالتى الماجستير والدكتوراه ولم تبارح هذه الأمنية مكانها فى عقلى إلى أن سنحت لى الفرصة مرة ثانية لقراءة هذا الديوان لجمع قصائد إقبال للأطفال والتى يحوى هذا الديوان كثيرا منها لإعداد بحث بعنوان : "أدب الأطفال عند إقبال" عندئذ تملكتنى رغبة في إنجاز هذه الترجمة ، فقد لاقى ديوان صلصلة الجرس شهرة عريضة فى باكستان وخارجها فى البلاد العربية .

وقد تكبد الأستاذ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم عناء مراجعة هذه الترجمة فله الشكر والعرفان وسوف أنتهي قريبا من ترجمة ديوانى إقبال "بال جبريل" "ضرب كليم" نثراً ليكتمل بذلك نقل الأعمال الشعرية الأردية إلى اللغة العربية نثراً .

وفى النهاية أشكر كل من ساعدنى على تحقيق وإنجاز هذا العمل الذى أحسبه سيثرى الدراسات الخاصة بمحمد إقبال فى العربية وأكون قد مهدت الطريق أمام قيام دراسة مقارنه بينه وبين الشعراء العرب الذين شاركوه فى الأفكار والموضوعات .

جـــلال السعيـــد الحفنـــاوى

الجزء الأول
منظومات إقبال حتى ١٩٠٥ م

الهيمالايـــا

- أيها الهيمالايا ! يا سور الهند العظيم !
السماء تنحني لتقبل جبينك .
- ولا يبدو عليك أثراً من صروف الدهر ،
فأنت شاب رغم اختلاف الليل والنهار .
- كان للكليم تجلٍ في طور سيناء ،
أما أنت فجلوتك كاملة ، لكل عين ناظرة .

* * * * *

- تراك العين المجردة جبلاً شامخاً في ظاهر الأمر ،
لكنك في الحقيقة حارس للهند وسورها الحصين .
- أنت ديوان الشعر والفلك مطلعه الأول
تجذب الإنسان إلى حيث يخلو القلب
- توجت الثلوج قمتك بعمامة الفضيلة
التي تغار منها قلنسوة الشمس التي تضئ العالم

* * * * *

- الحقب السالفة لمحة من عمرك الذي مضى
السحب السوداء ظللت أوديتك
- تتجاذب قممك أطراف الحديث الشيق مع الثريا
فأنت على الأرض بينما وطنك هناك في الفلك الرحيب
- عين سفحك مرآة رقراقة
بينما موج الهواء صار لها منديلاً

* * * * *

- ضرب البرق اللامع بسوطه الذي
تمسك به يد السحاب على رأس الجبل
لكي يحث فرس الهواء على السير
- أيها الهيمالايا ! هل أنت أيضاً ملعب للعناصر التي خلقتها يد القدرة

- يا لها من سحب تتهادى ثملة من فرط الطرب
كأنها تطير كالفيلة المتحررة من الأغلال
* * * * *
- أصبحت حركة موج نسيم الصباح مهدا
وصار كل برعم من وروده يترنح من نشوة الحياة
- فتنطق الورود الصامتة بلسان الأوراق:
"أنا لم أشعر قط بلمسة من يد قاطفي"
- وتقول إن صمتي هو حكايتي
فكأن زاوية عزلتي دار للقدرة
- ينحدر النهر متغنياً من قمة الجبل
لدرجة أن أمواج الكوثر تخجل والتسنيم أمامه
- كأن هذه الأمواج مرآة لمناظر طبيعية
فتارة تتجنب صخور الطريق وتارة تصطدم بها
- أيها المسافر ! اعزف اللحن العراقي المؤثر
فالقلب يفهم صوتك
* * * * *
- عندما تنشر معشوقة [١] الليل ضفائرها الطويلة
يجذب هدير الشلالات أكناف القلب
- وهاهو صمت المساء حيث الكلام هو الفداء
حيث خيم التفكير على الأشجار
- كم هي رائعة ألوان الشفق التي تهتز
وترتعد وتتجمع على قمم الجبال
وكم تبدو هذه الألوان مبهرة على خديك
* * * * *
- أيها الهيمالايا ! احك لنا قصة ذلك الزمن القديم
عندما أصبح حضنك مأوى لأجداد البشر
- وصور لنا أيام الحياة البسيطة
التي تخلو من أشكال التكلف على وجه الإنسانية

---

[١] جاء فى الأصل ليلى وهى إشارة إلى ليلى العامرية معشوقة قيس (المترجم) .

– أيها الخيال ! اعرض لنا تلك الأيام: ليلها ونهارها
ولتعودي يا دورة الزمن مرة أخرى !!

الـــــــوردة الملونـــة

– أيتها الوردة الملونة أنتِ لا تدرين شيئاً عن خدوش عقدة المشاكل
ربما لا يوجد في صدرك قلب !
– أنت زينة المحفل ، لكنك لا تشاركيه صخبه
وأنا لا أتمتع بمثل هذه المكانة في مجلس الحياة
– أكتوي في هذه الروضة بحرقة الأماني
بينما خلت حياتك من حرارة الأماني
– ليس من شيمتي أن أقطفك من الغصن
بل أقنع منك بنظرة من العين البصيرة
– يا لهف نفسي ! إن يدي –أيتها الوردة الملونة– لا تريد بك شراً
كيف أخبرك بأنني لست ممن يقطفون الورود
– وكيف أخبرك بأنني ليس لي علاقة بعيون الحكمة
ولا أنظر إليك إلا بعين البلبل !

* * * * *

– لك مئات الألسنة لكنك تؤثرين الصمت
فأي سر تخفينه في صدرك
– أنت أيضاً مثلي: ورقة من زهور رياض الطور
أنا بعيد عن الروضة وأنت أيضاً بعيدة عنها
– لكنك مطمئنة بينما أنا مضطرب
جريح بسيف شوق البحث

* * * * *

– أخشى ألا يكون اضطرابي سبباً للراحة
وألا تكون حرقة الكبد مصباحاً لبيت الحكمة
– وألا يكون عجزي سوى رأسمال القوة
وألا تكون مرآة حيرتي بحيرة مثاراً لحسد كأس جمشيد [١]

---

[١] جمشيد ملك من ملوك الفرس (المترجم) .

- هذا البحث المتصل هو الشمع الذي يضئ الحياة
ويصل بالإنسان إلى مرحلة الإدراك

أيـــــام الطفولــــــة

- كانت الأرض والسماء عالمي الجديد
وكانت سعة حضن الأم هي دنياي
- كانت كل حركة من حركاتي متعة لروحي
وكانت لغتي لا تحمل أي معنى
- في أيام الطفولة كان أي شخص يبكيني
وكنت أتمتع بصوت طرق مزلاج الباب

* * * * *

- كنت أنظر للقمر ساعات طويلة
وأرقب سيره الصامت بين السحب المهترئة
- وكنت أسأل دائماً عن جباله وصحرائه
كنت في حيرة من ذلك الكذاب الانتهازي
- كانت العيون واقفة على النظر ، والشفاه مائلة إلى الحديث
ولم يكن قلبي وحده ، بل كنت بأكملي ذوقاً للاستفسار

مـــــرزا غالــــب [١]

- لقد أضاءت حياتك الفكر الإنساني
إلى أين يصل جناح طائر الخيال ؟!
- كنت روحاً ، وكان محفل الشعر جسدك وصورتك
كنت زينة المحفل حتى وأنت غائب عنه كذلك
- إن عينيك تنظر إلى ذلك الجمال
الذي يكمن في كل شئ كحرقة الحياة

* * * * *

- محفل حياتك يغص بنغمات القيثارة

---

[١] مرز أسد الله خان غالب شاعر من كبار شعراء الغزل الأردى عاش فى دهلى بين عامى (١٧٩٧-١٨٦٩م) (المترجم)

مثلما يمتلئ صمت الجبل بنغمات النهر
- ربيع الطبيعة من فردوس خيالك
واخضرار العالم من حقل أفكارك
- والحياة كامنة في جمال أشعارك
وشفاه الصورة توشك أن تنطق من قوة كلامك
* * * * *
- النطق يفتخر بإعجاز على شفتيك
والثريا متعجبة من علو تحليقك
- أسلوبك الرائع يجعل الحبيب يقدم المضمون نفسه فداء له
وهكذا يسخر برعم دهلي من زهرة شيراز [٢]
- آه ! أنت مدفون في أرض دهلي المقفرة
بينما رفيقك [٣] نائم في حديقة ويمر [٤]
- ولا يمكن لشاعر أن يدانيك في رقة شعرك
وإلا متى لا يكون الفكر الكامل مصاحباً للخيال
- يا لهف نفسي على ما صارت عليه أرض الهند
التي علمت البصير كيف ينظر ويشاهد
- إن ذوائب اللغة الأردية لا تزال في حاجة إلى التصفيف
كما أن هذه الشمعة تحتاج إلى حرقة قلب الفراشة
* * * * *
- يا موطن العالم ! يا مهد العلم والفن !
إن سقوفك وأبوابك جميعها تبكى بكاء صامتاً
- كم من الشموس والأقمار كامنة في كل ذرة من ذرات ثراكِ
وكم من آلاف الدرر مختفية في ترابك
- لكن هل من أحد مدفون فيك يفتخر به الزمان ؟
وهل هناك لؤلؤة لامعة مثله كامنة في أرضك ؟

---

[٢] يشير إقبال إلى سعدى الشيرازى من كبار شعراء إيران ولد وعاش فى مدينة شيراز (١١٨٩-١٨٩٢) (المترجم) .
[٣] إشارة إلى الشاعر الألمانى جوته يوهان فولفانج فون (١٧٤٩-١٨٣٢) (المترجم) .
[٤] ويمر مدينة ألمانية (المترجم) .

سحابـــــة الجبــــل

- إن عُشِّي في مكان عال يناطح الفلك
وأنا سحابة الجبل ينثر ذيلي الورود
- أحياناً تكون الصحراء مسكني وأحياناً تكون الروضة ملجأي
فالمدينة والخرابة والبحر والغابة جميعها مسكن لي
-إذا غلبني النوم ففي أي وادٍ أنام
فخضرة الجبل فُرش مخملية لي

* * * * *

- علمتني القدرة الإلهية نثر الدرر
حتى صرت حاديا لناقة شاهد الرحمة
- وعلمتني أن أكون مواسياً لهموم قلب الفلاح الحزين
وأن أكون رونقاً لحفلة شباب الروضة
- إني مبعثر على وجه الحياة مثل الذوائب
ويزيننى مشط الرياح العاتية

* * * * *

- عندما أعبر صامتاً من إحدى القرى
أخيف من بعيد عيون الأمل

- وعندما أتجول على شاطئ نهر
أُلبس النهر أقراط الدوامة
- أنا أمل المزرعة الخضراء الوارفة
أنا ابن البحر ربيب الشمس

* * * * *

- لقد منحت ينبوع الجبل ضجيج البحر الأحمر
وجعلت الطيور أنفسها تتيه في تغريدها
ووقفت على الخضرة وقلت لها انهضي !!
- منحت برعم الزهرة ذوق الابتسامة
وأصبحت أكواخ الفلاحين بسبب فيضي في سفح الجبل شبيهة لي

العنكبـــــوت والذبابـــــة

(مقتبسة)

(للأطفال)

– ذات يوم قال عنكبوت لذبابة : "إنك تمرين من هذا الطريق كل يوم" .

– لكن بيتي لم يسعد بقدومك ، ولم تضعي أقدامك به سهواً .

– لا بأس إن لم تلتق بالأغراب ، لكن يجب ألا تعاملى الأقارب بمثل هذه المعاملة .

– تعالى إلى بيتي ! فهذا يزيدني شرفاً ، السلم أمامك لو قبلت أن تدخلي عليَّ .

– لما سمعت الذبابة كلام العنكبوت قالت : سيدي عليك أن تخدع ساذجاً آخر غيري .

– إن الذبابة لن تقع في هذا الفخ قط ،لأن الذي يصعد على سلمك لن ينزل أبداً.

* * * * *

– قال العنكبوت : وا أسفاه ! تظنين أني أخدعك ، وليس في الدنيا غافل مثلك .

– كل هذا إرضاء لك ، ولا نفع لي من جراء ذلك .

– يعلم الله من أي مكان جئت طائرة ، فلا ضير إن بقيت في بيتي .

– مع أن هذا البيت يبدو من الخارج صغيراً إلا أن به كثيراً من الأشياء أريد أن أريها لك .

– فقد زينت الجدران بالمرايا ، وعلقت ستائر رقيقة على الأبواب .

– وأعددت من الفرش لراحة الضيوف ، ما لا يتيسر لشخص .

– قالت الذبابة : حسناً كل ما تقوله صدق ، لكن يجب ألا يراودك أمل في أن أدخل بيتك .

– فليحفظني الله من تلك الفرش الناعمة ، التى لو نام عليها أحد لما أمكنه النهوض أبداً .

* * * * *

– قال العنكبوت فى سره عندما سمع كلامها : كيف لى أن أوقع هذه الأريبة فى شباكى .

– إن التملق فى الدنيا يأتى بأعمال لا حصر لها ، فانظرى كم من متملق فى هذه الدنيا .

– ثم قال للذبابة بعد تفكير : أيتها السيدة العظيمة ، لقد منحك الله مرتبة سامية .

– بحيث أنه لو نظر إليك أحد نظرة واحدة ، وقع فى حب محياك الوضاء .

– فعيناك تلمعان كحبات الماس ، وزين الله رأسك بتاج رائع .

– ما هذا الجمال وهذه الملابس ، وهذه الطيبة وهذا الصفاء .

– وفوق هذا غناؤك الساحر وأنتِ طائرة .

– فلما سمعت الذبابة هذا التملق رقت ولانت له ، وقالت : أنا لا أخاف منك .

– وأنا اعتبر التمنع عادة سيئة ، إن تحطيم القلوب أمر سيئ حقاً .

– قالت هذا وطارت من موضعها ، واقتربت منه ، فانقض عليها العنكبوت .

- كان جائعاً منذ عدة أيام ، وعندما وقعت فى براثنه ، أكلها وهو مستريح فى بيته .

الجبـــــل والسنجــــــاب

(مقتبس من
إيمرسن) [1]

- قال الجبل للسنجاب : ألق بنفسك فى الماء لتموت لو كنت حيياً .
- لست سوى شئ تافه فلم هذا الغرور ؟! وما عقلك هذا وفهمك وشعورك ؟
-من حكمة الله إن الأشياء الحقيرة قد تصير عظيمة ، وأن من لا شعور لهم قد يصـــبحوا مهذبين.
- فما هى قدرتك أمام شموخى ، إن الأرض تنحنى أمام عظمتى .
- ليس ذلك من نصيبي ، فأين الجبل وأين الحيوان الضعيف !!
- فلما سمع السنجاب هذا الكلام قال : تأدب فى الحديث ولا تبح بهذا الهراء .
- ليس مُهماً أن أكون ضخماً مثلك ، أو لا تكون ضئيلاً مثلي .
- إن قدرة الله ظاهرة فى كل شئ ، ومن حكمته أن يكون هناك كبير وصغير .
- إن كان الله قد منحك الضخامة فى هذا العالم ، فإنه تعالى علمنى تسلق الأشجار .
- إنك لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة ، وهل لديك ميزة أخرى خلاف ضخامتك ؟
- وإذا كنت ضخماً فقلدنى ، إن استطعت وأرني كيف تكسر هذه الثمرة [2] .
- على مر الزمان لم يكن هناك شئ بلا فائدة ، كما لا يوجد فى الدنيا شئ حقير .

البقـــــرة والعنـــــزة

(مقتبس للأطفال)

- كان هناك مرعى أخضر فى مكان ما ، وكانت أرضه كلها ربيع فى ربيع .
- لا يمكن وصف منظر ذلك الربيع ، حيث كانت الجداول الصافية تجري في كل جانب .
- كانت أشجار الرمان لا تحصى ، وكذلك أشجار الجميز الوارفة الظلال .
- وكان الهواء البارد العليل يهب فى كل حين ، وتصدح الطيور وتغرد أجمل الألحان .
- كانت هناك عنزة ترعى فى أحد المواضع ، بالقرب من أحد الجداول .
- توقفت وأخذت تنظر هنا وهناك ، فوجدت بقرة واقفة بجوارها .

---

[1] إيمرسن شاعر أمريكى ولد فى بوسطن سنة ١٨٠٣ ومات سنة ١٨٨٢ .

[2] ثمرة الفوفل ، وهى الغذاء الرئيسى للسنجاب (المترجم) .

– طأطأت رأسها أولاً ثم سلمت عليها ، وأخذت تتكلم معها بلباقة .
– كيف أنت أيتها السيدة العظيمة وكيف حالك ؟
– فردت عليها البقرة فى ضجر : أنا بخير .
– الحياة تمر بى بحلوها ومرها ، وحياتى بأسرها مأساة .
– أشعر بضيق فى صدرى فكيف أبوح بما فيه ، وحظى سيئ فماذا أقول ؟
– أنظرُ إلى جلال الله وعظمته ، وأبكي على أرواح التعساء .
– لا يقوى الفقراء والمساكين على شئ ، وأنا أواجه نصيبي المحتوم .
– فلا يعاملنا الإنسان برفق ، إذا وقعت– لا قدر الله – في قبضته.
– إنه يتبرم عندما أحلب لبناً قليلاً ، ويبيعنى عندما أكون هزيلة .
– ويستعبدنى بكل الطرق ، ويخضعنى بكل حيله .
– ورغم أننى أربي أولاده ، وأبث الروح فيهم بلبني .
– إلا أنه يقابل الحسنة بالسيئة، فأعنِّ يا ربى بقوتك .
– عندما سمعت العنزة هذه الحكاية ، قالت : إن الشكوى على هذا النحو غير مستحبة .
– ولا يستساغ الكلام بصدق ، لكنى سأقول كلاماً يرضي الله .
– إن هذا المرعى وهذا الهواء البارد ، وهذه الحشائش الخضراء وهذا الظل .
– كيف تكون هذه النعم من نصيبنا ؟! كيف تكون ؟ وكيف هو هـذا الحيـوان الأخـرس المسكين .
– إن كل هذه المتع من صنع الإنسان ، وكل هذه المسرات بسببه .
– وحياتنا كلها قائمة عليه ، فقيده إذن بالنسبة لنا أفضل من الحرية .
– هناك أخطار عديدة فى الغابات ، أنقذنا الله من العيش فيها .
– إحسانه علينا لا يعد ولا يحصى ، ولا يجدر بنا أن نجأر بالشكوى منه .
– ولو أنك تقدرين قيمة الراحة، ما شكوت من الإنسان قط .
– شعرت البقرة بالخجل بعدما سمعت هذا الكلام وندمت على الشكوى منه .
– وأسرت فى نفسها بشتم العنزة ، وفكرت برهة ثم قالت :
– مع أن العنزة من جنس وضيع ، لكن كلامها أثر فىَّ !!

دعـــــاء طفــــل

(مقتبس للأطفال)

– تتردد أمنيتى على شفتي ، دعاء وتضرعاً إلى الله أن يجعل حياتى سراجاً منيراً .

- وأكون سبباً فى إزالة الظلام الحالك الذى يسود العالم ، ويضئ نورى فى كل مكان .
- وليكن وجودي زينة لوطني ، مثلما يزدان البستان بالورود والأزاهير .
- ولتكن حياتي يا رب كالفراشة ، ولأحب يا رب نور العلم .
- وليكن جل همي حماية الفقراء ، وحب المساكين والضعفاء .
- اللهم نجني من كل شر ، وأهدني سواء الصراط .

المواســـــــاة

مقتبس من وليم كوبر (للأطفال) [١]

- وقف البلبل حزيناً ، وحيداً على غصن شجرة .
- كان يقول : لقد حل الليل ، وقد أمضيت يومى فى الطيران والتقاط الحب .
- فكيف أصل إلى العش ، وقد خيم الظلام على كل شئ ؟
- سمعت اليراعة بكاء البلبل وعويله ، وكانت قريبة منه فقالت :
- بالرغم من أنني مجرد حشرة صغيرة ، إلا أننى مستعدة لمساعدتك بروحي وقلبي .
- فلماذا الحزن لو كان الليل مظلماً ، فسوف أضئ لك الطريق .
- لقد وهبني الله سراجاً ، ومنحني نوراً حتى أصبحت مصباحاً .
- خير الناس فى الدنيا هم ، الذين يساعدون الآخرين .

حلــــــــم أم

(مقتبس للأطفال)

- كنت نائمة ذات ليلة فرأيت مناماً ، ضاعف من اضطرابى .
- رأيت أننى ذاهبة إلى مكان ، مظلم لم أجد فيه طريقاً .
- كنت أرتعد ويقشعر جلدي خوفاً ، وأنا أمشى بصعوبة .

---

[١] وليم كوبر شاعر إنجليزى مشهور فى القرن السابع عشر ، ولد سنة ١٧٣١ ومات سنة ١٨٠٠م (المترجم) .

- عندما وجدت فى نفسى بعض الشجاعة ، نظرت فرأيت صفاً من الأطفال .
- يرتدون ثياباً زمردية ، وفى أيديهم جميعاً مصابيح مضيئة .
- ويسيرون فى صمت مطبق ..الواحد خلف الآخر .
- ولا يعلم غير الله إلى أين هم ذاهبون .
- وبينما كنت أفكر رأيت ابنى فى هذا الصف .
- كان يسير بصعوبة فى المؤخرة ، والمصباح غير مضيء فى يده .
- بعد أن عرفته قلت له : أين ذهبت يا حبيبى بعد أن تركتنى ؟
- إننى مضطربة لفراقك ، وأنظم كل يوم عقداً من الدموع عليك .
- إنك لم تهتم بى ، ورحلت وتركتنى فهل هذا الوفاء الطيب ؟
- فلما رآنى الطفل أتململ ألماً ، أشاح وجهه وأجاب :
- أنت تبكين على فراقي ، وليس لي في ذلك أي خير .
- قال هذا ثم صمت لحظة ، وأراني المصباح وبدأ الكلام .
- أتدرين يا أماه ماذا حدث للمصباح ؟ لقد أطفأته دموعك .

شكـــــوى الطيــــــر
(للأطفــال)

- تجول بخاطري ذكرى الأيام الماضية،وربيع الروضة حيث كنا نغرد جميعاً .
- أين الحرية التى تمتعت بها فى عشي،حين الذهاب بسرور والإياب بفرحة .
- يخفق قلبي عندما أتذكر تلك اللحظات، وابتسامة البراعم على دموع الندى .
- عندما أفكر فى تلك الصورة المحببة والدمية الصغيرة ، التى كانت أنفاسها تلازم عشي .
- أصواتها لا تتردد فى قفصي هذا ، ليت حريتى ظلت ملكاً لي.

* * * * *

- كم أنا سئ الحظ وأحن إلى العش ، رفاقي أحرار فى مواطنهم وأنا مقيد .
- جاء الربيع وابتسمت براعم الورود .
- أما أنا فالبكاء من نصيبي في هذا البيت المظلم .
- إلهى لمن أشكو آلام سجني ، أخشى أن أموت من الحزن فى قفصي هذا .

* * * * *

- هذا هو حالي بعدما فارقت الحديقة

- وقلبي يعتصره الحزن ، والغم ينهك القلب .
- لا يطرب السامعون بغنائي وشدوي .
- وهذا صدى شكوى القلوب المكلومة .
- اطلق سراحي يا من حبستني
- فأنا أسير بلا لسان ، خلصني وسأدعو الله لك .

استفسار النائمين تحت الثرى

- أقبل الليل وتوارت الشمس المتوهجة .
وجدائل المساء تبعثرت على كتف الحياة .
- يستعدون للبس السواد حزناً عليّ ؟!
فى محفل القدرة فى مأتم الشمس .
- السماء تنفث السحر على شفاة الكلام .
ونظرات ساحر الليل شاخصة على العيون الساهرة .
- نعم لقد غرق موج الهواء فى بحار الصمت .
لكنه يحمل لنا رنين جرس من بعيد .
- إن قلبي المضطرب في الحب ينفر من الدنيا .
وقد جذبني بعيداً عن ضجيج الدنيا .
- أنا أمام منظر يمثل الحرمان من السعادة .
أنا جليس للنائمين فى ركن الوحدة .

* * * * *

- تمهل قليلاً أيها القلب المضطرب ! ودعني أجلس .
وأذرف دموعي على هذه الدنيا
- أين تعيشون يا من أسكرهم شراب الغفلة
فى الآخرة قولوا شيئاً عن البلد الذى تعيشون فيه
- هل هذه كذلك دار حيرة اليوم والغد ؟
وهل هى أيضاً مسرح للصراع بين العناصر ؟ [١]
- هل الإنسان هناك أيضاً محاصر بأسوار الحزن ؟
وهل قلب الإنسان مسير أيضاً فى ذلك العالم ؟

---

[١] العناصر الأربعة هى : الماء والهواء والنار والتراب (المترجم) .

- وهل تحرق الفراشة نفسها هناك على نار الشمعة ؟
وهل تُحكى في تلك الروضة أيضاً قصة الوردة والبلبل ؟
- هل ينخلع القلب من موضعه بمجرد سماع مصرع من الشعر ،
وهل ينصهر القلب هناك من حرارة الشعر ؟
- إن العلاقات والصلات تؤذي الروح
فهل يوجد فى تلك الروضة مثل هذه الأشواك الحادة ؟
- العيش مرة واحدة فى هذه الدنيا والوقائع كثيرة
فهل الروح فى تلك البلد متحررة من هذا الفكر ؟
- وهل هناك صواعق ، وهل فيها فلاحون وهل هناك قلاع وحصون ؟
هل يوجد هناك قوافل وخوف من قاطع الطريق ؟
- هل هم من يجمع أعواد القش لبناء الأعشاش ؟
وهل هم يبحثون عن الطين والطوب لبناء البيوت ؟
- وهل الإنسان هناك غريب عن أصله ؟
وهل هو مولع بالتمييز بين الدين والشريعة ؟
- وهل الروضة هناك لا تبكي على بكاء البلبل ؟
ألا يوجد فى ذلك العالم آلام للقلوب مثلما توجد فى هذه الدنيا ؟

- هل الفردوس حديقة أم بيت للراحة ؟
أم أنه وجه سافر اسمه الحسن الأزلى ؟
- وهل جهنم وصفة لحرق المعاصى .
وهل قَصدُ التأديب كامن فى ألسنة النيران ؟
- هل الناس فى ذلك العالم يحلقون ويطيرون بدلاً من السير والمشى ؟
وما السر فيما يطلق عليه أهل الأرض "الموت" ؟
- إن الحياة فى ذلك المكان متاع اضطراب القلب
فهل إدراك الإنسان منحصر فى تلك الولاية ؟
- هل القلب الذى يعاني الفراق ينال السكينة فى الرؤية ؟
أم أن جبال الطور فى ذلك المكان تقول : "لن ترانى" أيضاً ؟
- وهل تستريح الروح فى البحث هناك ؟
وهل هناك بشر صرعى التساؤل ؟

– وهل ذلك البلد أيضاً فى ظلمة حالكة ؟

أم تحول كله إلى نور من تجليات الحب ؟

– أخبرونا عن السر الكامن فى هذه القبة المدورة .

إن الموت شوكة فى قلب الإنسان

الفراشـــــة والشمـــــع

– أيها الشمع لماذا تحبك الفراشة ؟ ولماذا تضحى من أجلك بهذه الروح المضطربة ؟

– هل دلالك يجعلها مضطربة مثل الزئبق؟وهل أنت الذي علمتها آداب العشق ؟

– إنها تطوف حول موضع جلوتك ، هل نفثت فيها من برق نظراتك ؟

– وهل تجد الفراشة راحة الروح فى عذاب الموت ، وهل الحياة الخالدة كامنة فى شعلتك ؟

– لو لم يكن ضياؤك فى بيت حزن الدنيا ، لما اخضر حقل أماني هذا القلب المهموم .

– إن مصرعها فى حضورك هو صلاتها وابتهالاتها ، فكم هى متعة الحرقة فـى قلبهـا الرقيق .

– فى الفراشة شئ من حماس عاشق الجمال القديم

فالشمع مثل جبل الطور والفراشة مثل الكليم .

– إن الفراشة تحدوها الرغبة لرؤية النور ، وهى مثل دودة صغيرة تهفو إلى النور .

العقـــل والقلـــب

– فى يوم من الأيام قال العقل للقلب : أنا المرشد لكل ضال .

– ومع أننى على الأرض إلا أن الفلك يدور حولي ، فانظر إلى أى حد يمكننى أن أصـل إليه ؟

– إن عملي في هذه الدنيا هو الهداية ، أنا مثل الخضر صاحب القدم المباركة .

– أنا مفسر كتاب الحياة ، ومظهر شأن الكبرياء .

– وما أنت إلا قطرة دم ، ولكننى أثير غيرة الياقوت غالي الثمن .

– عندما سمع القلب ذلك قال : كل هذا صحيح ، ولكن حدق فيّ لكي تعرف من أنا ؟

– أنت تدرك سر الحياة ، أما أنا فأراها رأي العين .

– أنت مرتبط بالظاهر ، أما أنا فعليم بالباطن .

– العلم منك ، والمعرفة منى ، أنت باحث عن الله ، أما أنا فالله يتجلى فيّ .

- إن عدم الاستقرار هو نهاية العالم ، وأنا الدواء لهذا المرض .
- أنت شمع محفل الصداقة ، وأنا مصباح محفل الحسن .
- أنت متشبث بالزمان والمكان ، وأنا عليم بطائر سدرة (المنتهى) .
- انظر إلى مكانتى ،وكم بلغت من السمو والرفعة ،أنا عرش رب ذو الجلال .

صـــوت الألـــم

- أنا احترق ولا أعثر على الراحة ، حسناً لتغرقني يا نهر الجانج فى أعماق أعماقك [1] .
- إن أرضنا مثيرة للنفاق ، كيف الوصال والقرب مثير للفراق .
- بدلاً من أن يعم الوفاق تفشى بينهم الفراق ، ومن المثير للغضب أن تتفرق حبات الحصاد .
- إن الحديقة التى لا تتضوع فيها نسمات الأخوة بين ورودها ، ليس للغناء فيها أي متعة .
- أذوب فى متعة القرب الحقيقى ، واضطرب من تلاطم الموج بالساحل .

* * * * *

- الشاعر صاحب البيان الساحر كالحبة التى تدلك على نوعية الحصاد
- ما قيمة الحبة ما لم يكن هناك حصاد .
- كيف يسفر الجمال عن نفسه ما لم يكن هناك من يميل إليه ، وما هو هدف احتراق الشمع ما لم يكن هناك محفل .
- لماذا لا يتغير ذوق الكلام بالصمت،ولماذا لا يخرج هذا الجوهر من مرآتى ؟
- كيف تتفتح لذة الكلام على التحدث ؟ إذا كانت نار الشحناء قد حولت الحديقة إلى رماد !؟

الشمـــس

(ترجمة عن جايتيرى)

- أيتها الشمس أنت الروح السائرة فى هذا العالم ، أنت جامعة لشتات دفتر الكون والمكان .
- أنت باعثة لظهور الوجود والعدم ، وحديقة الوجود والعدم مخضرة بأنفاسك .
- إن العناصر الأربعة مستقرة بوجودك ، والحياة تدب في كل شئ بسببك .
- كل شئ كائن بسبب جلوتك ، وحرقتك هي الحياة بأسرها .

---

[1] نهر الجانج من الأنهار الهندية المقدسة فى عقيدة الهندوس (المترجم) .

– هى الشمس التى تضئ العالم بنورها، وهى القلب والعقل والروح والشعور .
– أيتها الشمس امنحينى نور الشعور ، وأعطي عين العقل النور بتجلياتك .
– أنت زينة متاع محفل الوجود ، كما أنك رب سكان السهول والهضاب .
– كمالك كامن فى حياة كل ذي روح ، وظهورك يتجلى فى سلسلة الجبال .
– أنت تبثين الحياة في كل شئ ، أنت صاحبة التاج (ملكة) لكل ما هى منير .
– لا بداية ولا نهاية لك ، فنورك متحرر من أغلال الأول والآخر .

الشمـــــــع

– أيها الشمع أنا أيضاً متألم فى محفل الحياة مثلك ، أنا مكبوت العويل كالصوت فى حبـــة السبند .
– لقد منحك العشق حرارة محرقة بداخلك ، وجعلنى بائعاً للدموع الوردية مثل الشفق .
– وسواء كنت شمعاً لمحفل الطرب أم كنت شمعاً على القبر ، فى كل حال تظـــل معانقـــاً لدموع الحزن .

* * * * *

– لا تنظر إلا بنظرة واحدة مثل نظرة عشاق السر ، ونظرتى مشوبة بداء الامتياز .
– نورك واحد سواء فى معبد الأصنام أم فى الكعبة ، وقد وقعت فى فخ التمييز بين الدير والحرم .
– عظمة آهاتك كامنة فى دخانك الأسود ، كأن هناك قلباً مختفياً فى مكان جلوتك .

* * * * *

– أيتها الشمعة إنك تحترقين لأنك بعيدة عن بريق التجلى ، لكن الذين بلا ألـــم فهمـــوا أن حرقتك نور .
– أنت تحترقين ولا تدرين بذلك ، أنت مبصرة ومع هذا لا تنظرين إلى حرقتك الداخلية .
– أنا كالزئبق من حماس الاضطراب،وأنا كذلك مضطرب القلب الذي لا قرار له .
– كان هذا دلال الشخص المستغني ، الذي منحني إحساساً بحرقتي .

* * * * *

– لقد جعلتني هذه المعرفة قلقاً ، ففى هذا الشرر تكمن آلاف معابد النار .
– وهو سبب التمييز بين السمو والانحدار ، وهو الأريج فى الوردة والنشوة فى الشراب .
– المعرفة هى الحديقة والبلبل والوردة والشذى ، المعرفة هى الصراع بين الأنا والأنت .

* * * * *

– صبح الأزل هو الذى يسلب الجمال قلب العشق ، وصوت كـــن [1] علـــم روح العشـــق المعاناة .

– صدر الحكم برؤية ربيع روضة كن [1] ، فانظر نظرة واحدة ، واحلم بـــآلاف الأحـــلام المضطربة .

– لا تطلب منى أن أخبرك بحجاب الوجود ، وقد كان ليل الفراق صباحاً لظهورى .

– لقد انقضت الأيام التى لم أكن عالماً فيها بالقيود ، وكان عشي زينة شجرة الطور .

– أنا الآن أسير.. أعتبر القفص روضة ، واعتبر هذا المكان الحزين موطنـــاً لـــي فـــي غربتي .

– وصارت ذكرى الوطن عندي هماً لا سبب له ، وأحياناً يتحول إلى شوق النظر وأحياناً تتحول إلى ذوق الطلب .

* * * * *

– أيها الشمع ! انظر إلى خداع الخيال اللامتناهى ، وانظر إلى ما صار إليه مسجود الفلك .

– أنا مغزى الفراق ،والثريا علامتي ،أنا الطبع المتناغم لمدبر الكون والمكان .

– لقد شد وثاقى ذلك الذى أراد ظهورى ، ووضعنى على رأس ديوان الماضى والحاضر .

– الجوهر يفضل البقاء فى قبضة التراب ، مع أن الأسلوب ضـــعيف إلا أن الموضـــوع قوى .

– وهذا القصور كله بسبب النظرة غير الصائبة للعين ، والعالم شكل مـــن أشـــكال ذوق الشعور .

– كل هذه السلسلة هى حبائل للزمان والمكان ، وهى طوق فـــى جيـــد الحســـن المحـــب للمظاهر .

– أنا أتوق للمنزل لكنني ضللت الطريق ، أيها الشمع ! أنا أسير خداع النظرة .

– أنت الصياد وأنت أيضاً حلقة لفخ الظلم ، أنت سطح الحرم وأنت طائر سطح الحرم .

– أنا الجمال الذى يحرق العشق كله ، ولم يتضح : هل هذا دلال أم عجز .

– نعم فالشفاه لم تهتدي إلى السر القديم فى أى مكان ، وأخـــاف أن تثـــار قصـــة الحبـــل والمشنقة فى أى مكان .

---

[1] إشارة إلى (كن فيكون) .

[1] إشارة إلى (كن فيكون) .

أمنيــــــة

– يا رب لقد مللت محافل الدنيا وصخبها، كيف أتمتع بالمحفل مع أن القلب واهن .

– أنا أهرب من الضجيج وقلبى يبحث عن السكون .

– أموت فى صمت وأمنيتي أن يكون لى كوخ صغير فى حضن الجبل .

– وأن أقضى يومي في عزلة متحرر الفكر ، وأن تنزع من القلب شوكة همَّ الدنيا .

– إن لذة الشدو فى تغريد العصافير ، ونغمات القيثارة تنبعث من خرير النبع .

– وكأن برعم الوردة بتفتحه يبعث رسالة لشخص ما ، وهذا الكأس الصغير كأنــه كــأس يظهر لي العالم .

– ولتكن اليد وسادتى والعشب فراشي ، وليكن أدائي في الخلوة مخجلاً منه الجلوة .

– وليأنس البلبل بوجهي إلي الحد الذي لا يشعر قلبه الصغير بأى اضطراب .

– ولتصطف الأشجار الخضراء على الجانبين ، ولتصفى ماء الغدير حتــى تظهــر فيهــا الصور .

– وليكن منظر سلسلة الجبال فاتناً، وليتحول الماء إلى أمواج تتراءى من علٍ .

– ولينم الكلأ فى كنف الأرض ، ولتبرق المياه بين الشجيرات .

– وليلامس غصن الوردة الماء ، كحسناء تنظر إلى وجهها فى المرآة .

– عندما تخضب الشمس عروس المساء بالحناء،وتحمر عباءة كل وردة ذهبية .

– وعندما يتعب فيها السائرون ليلاً ، يصبح مصباحى المحطم أملهم .

– وعندما تتلبد السماء بالغيوم من كل صوب وحدب ، يظهر لهم كوخى فى لمعان البرق .

– ويظهر القمرى فى الهزيع الأخير من الليل ، كأنه مؤذن الصباح ، أكون رفيقاً له ويكون رفيقاً لي .

– أذني حسان الدير والحرم ، بينما يظهر السحر نور من كوة كوخي .

– وحينما تأتي الزهور لتتوضأ من الندى يكون بكائي هو وضوئي ، وأنيني هو دعائي .

– ويرتفع عويلى فى هذا الصمت حتى تسمع صداه ، قوافل النجوم .

– وليبكِ كل صاحب قلب حزين من بكائي ، فقد يوقظ البكاء فاقد الوعي .

شمــــس الصبــاح

– أنت أسمى من ضجيج حانة الإنسان ، وأنت الكأس التى تزين محفل الفلك .

– أنت جوهرة الدر فى أذن عروس الصباح ، وأنت الحلي التي يتيه بها وجه الأفق .

– لقد محوت بقعة مداد الليل من صفحة الأيام ، وتوارت الكواكب من الســماء كــالنقش الزائف .

* * * * *

– وحينما يتجلى حسنك على سقف الفلك ، يزول أثر خمر النوم من العين على الفور .

– إن طرف نظرتك تغص بالنور ، وضياؤك يفتح عين الظاهر .

– تحبين المشهد الذى تبحث عنه العيون ، وتريدين التجلي الذي يكشف عين الباطن .

* * * * *

– لم تكن لديه همة للحصول على الحرية في هذه الدنيا ، فعاش طول حياته في قيد سلاسل العلائق .

– يتساوى أمام عينيك الرفعة والانخفاض، وقد تمنيت مثل هذه العين الساهرة .

– ولتملأ عيني بالدموع حزنا على الآخرين ، وليتحرر قلبي من التمييــز بــين الشــريعة والدين .

* * * * *

– وألا يرتبط لساني بطابع الخصوصية ، وليكن جميع البشر أهلي والعالم كله وطني .

– وليظهر سر ترتيب القدرة لعين الباطن عياناً ، وليصعد دخان شمع الخيال إلى الفلك .

– ولا يقلقني سعي عقدة الأضداد ، وليظهر الحسن المثير للحب فى كل شئ .

* * * * *

– ولو سبب الهواء صدمة لأوراق الوردة ، لتحول ذلك إلى دموع تقطر من عيوني .

– ولتولد حرقة المحبة شرارة صغيرة فى القلب ، ولتخبرنا أسرار الحقيقة بنورها .

– وألا يكون قلبي مرآة لمشاهد القدرة ، ولا يكن فى الرأس شئ سوى مواساة البشر .

* * * * *

– وأنت لو لم تحتمل صخب العالم ، يا أيها النور الأعظم هذا ليس دليلاً على الفضيلة .

– وعندما لا تدركين سر حسنك المبهج للعالم ، فلن تكوني غريمة للإنسان ولو قــدر ذرة تراب .

– لقد ظلت الملائك غارقة فى دفء مشهد نور المسجود له ، أما أنت فقــد بقيــت رهنــاً لصباح الغد .

* * * * *

– فى قلوبنا أماني الوصول إلى نور الحقيقة ، لأن منزل ليلي المنشود في هذا الهودج .

– وكم من اللذات مرهون بحل عقدة المشكلة ، سعينا بلا فائدة رغم سعادتنا بمئات النتائج .

– إن جانبك لا يعرف ألم الاستفهام ،كما أنك لا تعرفين البحث عن سر القدرة .

ألـــــم الحـــب

– يا ألم الحب ! أنت الجوهر النقى ، لا تتراءى عياناً للأجانب .

– إن موضع تجلياتك كامن تحت النقاب ، وفى النظرة الجديدة لمحفل محبي الظاهر .

– وقد هب النسيم الجديد فى عالم الوجود،يا ألم الحب لم تبق الآن لذة الظهور .

– أجل ! لا تبحث عن المحبين للظهور ، ولا تكن رهناً لمنة أنين البلبل .

– وليخلو الكأس الأحمر من خمر الحب ، ولتسمى نقطة الماء ببكاء الندى .

– وليختف سرك فى مكان ما داخل الصدر ، وحاذر أن تكشفك الدموع التي تعتصر الكبد .

– ولا تكن لغة المشاعر مزينة فى بيانها ، ولا تختلط شكوى الفراق بصوت الناى .

– ولتتوارى فى مكان ما من هذا العهد الناقد ، ولتختفي هناك في القلب الذي تقبع فيه .

– انظر فإن الحيرة التى خلقها العلم غافلة عنك ، وانظر إلـــى رؤيتـــك القاصـــرة غيـــر الفاحصة .

– دع عنك الخيال المحلق فى البحث ، واترك العين المحبة للحكمة ، في حيرتها .

– إن مثل هذه الروضة التى ليست فى ربيعك ، غير جديرة بظهورك فى هذا الجمع .

– وهذه الحفلة صريعة نظرة المجاز ، وهدف نظرتك هى خلوة السر .

– فكل قلب فى سُكر نشوة خمر الخيال ، لأن كليمي طور (١) هذه الأيام مختلفون .

---

(١) إشارة إلى قصة سيدنا موسى كليم الله وجبل الطور .

الـــوردة الذابلـــة

- أيتها الوردة الذابلة بأى لغة أقول إنك وردة ، وبأى شكل أقول إنك أمنية قلب البلبل .
- كان الموج مهد صباك المتحرك حيناً بعد حين ، وكان اسمك فى ساحة الروضة هو الوردة الضاحكة .
- وكان نسيم الصباح يعترف بإحسانك ، وكانت الحديقة بأنفاسك مثل طبلة العطاء .
- إن عيوني الباكية تمطر الندى عليك ، وقلبي المهجور مختفٍ وسط أحزانك .
- أنت صورة مصغرة لضياعي ، فقد كنت تفسيرا لحلم حياتي .
- أنا كالناى أتحدث عن موطن الغاب ، فاسمعي أيتها الوردة فأنا أشكو من الفراق [١] .

شاهـــد قبـــر السيـــد [٢]

- يا من طائر روحك أسير حبائل النفس،يا من طائر روحك أسير فى القفص .
- انظر إلى حرية الطيور الصادحة فى هذه الروضة ، انظر إلى عمران المدينـــة التـــى كانت خربة مهجورة .
- هذا هو نفس المحفل الذى كنت أتخيله ، وهذا هو حصاد حقل الصبر والاستقلال .
- انظر إلى شاهد قبري المشتاق إلى الخطابة ، وانظر قليلا بعين الباطن إلى المدون على الشاهد .

* * * * *

- إذا ارتضيت تعليم الدين فى هذه الدنيا ، فلا تعلم قومك هجر الدنيا .
- ولا تتفوه مطلقاً بإثارة الفرقة والتشر ذم ، لأن ثورة الحشر مختفية هنا .
- ولتبدي أسباب الوصال فى كتابتك ، ولا تؤلم قلباً بخطبك .
- ولا تقص القصص القديمة فى المحفل الحديث ، ولا تردد الأساطير التى لم يعـد لهــا مجال الآن .

* * * * *

- لو أنك حكيماً فاسمع صوتى ، فإن الشجاعة عصا بيد أرباب السياسة .

---

[١] إشارة إلى قول جلال الدين الرومى فى المثنوى :

بشنـــو از نـــى جـــون حكايت ميكند   از جدائيهـــا شكايـــت ميكنـــد

استمع إلى الناي حين يحكى حكايته ويشكو من الفراق .(المترجم)

[٢] هو السير سيد أحمد خان مؤسسه جامعة عليكره الإسلامية ورائد حركة عليكره "١٨١٧-١٨٩٨" (المترجم) .

– إن التردد فى عرض مطلبك لا يناسبك ، فماذا يخيفك إذا كنت حسن النية .

– إن قلب العبد المؤمن خالٍ من الرياء والخوف ، وهو جرئ أمام قوة الحاكم .

* * * * *

– لو فى يدك قلم معجز ، ومرآة قلبك قوية مثل كأس جمشيد .

– فأنت تلميذ الرحمن فلتحتفظ بلسانك عفيفاً ، وحذار أن يفقد صوتك احترامه .

– وأيقظ النائمين بإعجاز الشعر ، وأحرق محصول الباطل بلهيب صوتك .

الهـــــــلال

– تحطمت مراكب الشمس وغرقت فى النيل ، ولم تبق منها إلا قطعة واحدة تسبح هائمـــة على صفحة ماء النيل .

– إن دم الشفق الصافى يتقطر فى إناء الفلك ، فهل شق مبضع القدرة وريد الشمس ؟

– هل سلب الفلك الحلي من عروس السماء ؟ أم هو سمك من فضة خالصة فى ماء النيل ؟

* * * * *

– قافلتك ماضية لا تحتاج لصلصلة الجرس ، حتى إن أذن الإنسان لا يمكنها سماع وقـــع أقدامك .

– تظهر للعيون فتصغر وتكبر فأين يا ترى موطنك ! وإلى أى البلاد تمضي ؟

– فلتصحبني معك أيها النجم السائر ، إن وخز شوك الحسرة قد ضاعف اضطرابي .

– أبحث عن النور وأنا مضطرب فى هذه البلدة ، أنا طفل صغير أتر جرح مثل الزئبق فى مدرسة الحياة .

الإنســان والمحفــل الإلهــى

– عندما رأيت شمس الصباح المشرقة ، سألت عن محفل الكرة الأرضية .

– إن نورك نتيجة أشعة الشمس ، وهى التى جعلت ماء أنهارك فضة رقراقة .

– ألبستك الشمس حلياً من نور ، وقد أنار شمعها مجلسك .

– والورد والروضة هما صور جنتك ، وكلها تفسير لسورة (والشمس) [1] .

– الورود ترتدى ملابس حمراء ، والأشجار بثياب خضراء فى محفلك حورية حمــراء ، وأخرى خضراء .

– والسحب الحمراء التى تتراءى في الأفق ، تظهر النــواظر كأهــداب ذهبيــة لخيمتــك السماوية .

– وكم تتعلق العيون بحمرة الشفق ، كأنك قد صببت الخمر الوردية فى دنان السماء .

– إن مقامك سامٍ ، وإن شأنك عظيم ، وجميع حاجياتك محجوبة خلف النور .

– والصباح كله أغنية من قدرتك ، لا يوجد أثر للظلمة تحت الشمس .

– أنا أعيش أيضاً فى هذه الدنيا المنيرة ، فكيف احترق نجم حظي .

– أنا بعيد عن النور أسير للظلام ، فلماذا أيامى سوداء ، ولماذا ساء طالعى وساء عملى ؟

– بينما كنت أقول هذا .. انبعث صوت من مكان ما ، من سقف الفلــك أو مــن ســاحة الأرض .

– إن وجودي وعدمي مرتبطان بنورك ، فوجودك مثل حارس الروضة لبستان وجودى .

– أنت مجلس الحسن وأنا صورتك ، أنت صحيفة للحب وأنا تفسيرها .

– أنت الذى رممت أعمالي المتهالكة ، وتحملت العبء الذى لم أقدر على احتماله .

– إن حياتي في حاجة لنور الشمس ، وتلألؤك ليس مرهوناً بنور الشمس .

– لو لم تكن الشمس لصارت حديقتي خراباً ، ولأصبح اسمي سجناً بدلاً من منزل المتعــة والراحة .

– وا آسفاه ! أيها السر الواضح للعيان ! إنهم لا يفهمونك ، يا من يسقط فى حلقــة فــخ التمنى .

– يا للغفلة إن عينيك مرتبطة بالمجاز ، وكأن الدلال مرتبط بك ، وأنــتِ تريــد حــرارة الحاجة .

– لو أنك خبير بحقيقتك ، فلن يكون يومك أسود ،ولن يكون عملك سيئاً .

---

[1] إشارة إلى : "الشمس وضحاها والقمر ... الآية (المترجم)

رسالـــــة الصبـــــاح

(مقتبسة من لانج فيلو) [1]

– عندما ودع الظلام جبين الليل البراق ، وأتى نسيم الحياة برسالة الصباح الضاحك .

– وأيقظ البلبل الشجي من عشه ، وهز كتف الفلاح على رأس حقله .

– وحطمت سورة النور غموض ظلام الليل ، وأطاح الظلام بالتاج الذهبى لشمع مملكـــة الليل .

– وضاعف من نشوة نائم الدير ، وسلم للبرهمى رسالة الشمس المشرقة .

– قال المؤذن على سطح الحرم: لا يرتعد قلبك من ظهور الشمس الساطعة !.

– ووقف (الصباح) هكذا على حائط الحديقة وصاح : تفتح أيها البرعم فأنت مؤذن الحديقة .

– وصدر الحكم فى الصحراء أن تحركوا يا أهل القافلة ، وتلألأ الصباح فـــى كـــل ذرات الصحراء كاليراعة .

– عندما رحل الصباح من قرية الأحياء إلى مقابر الفقراء ، قال بعد أن جال بنظره فـــى المدينة الصامتة :

– لتستريحوا الآن ، وسوف آتى بعد ذلك ، فلينم العالم ، وسوف أوقظكم فيما بعد أيها النيام !

الحـــــب والمـــــوت

(مقتبسة من تينسن)

– كانت ساعة ظهور الحياة رائعة ، وكان برعم الحياة ينثر البسمات .

– فى أحد الأماكن كانت الشمس تتوج بتاج الذهب ، وتمنح القمر ضوءه .

– وكانت تغطي المساء بقميص أسود ، بينما كانت النجوم تتعلم كيف تبرق .

– وكان غصن الحياة فى موضع ما يورق ، وفى مكان آخر كان برعم الحياة ينبت .

– وكانت الملائك تعلم الندى كيفية البكاء،وكانت الوردة تضحك للوهلة الأولى .

– ومنحت المعاناة لقلب الشاعر ، والذاتية متعطشة لخمر اللاذاتية .

– ولأول مرة تعالت السحب السوداء ، وقد وقفت مثل حورية سافرة الشعر .

– كانت الأرض تزعم أنها السماء ، وكان المكان يقول بأنه اللامكان .

---

[1] لانج فيلو شاعر أمريكى ولد فى بورت لاند (١٨٠٧–١٨٨٢) (المترجم)

– وخلاصة القول إن هذا المنظر كان محبباً ، حتى صار النظر إليه متعة للناظرين .
– كانت الحوريات تجرب طيرانها ، وكان نور الأزل ظاهراً على جبينها .
– وكان ملكاً اسمه العشق ، مرشداً أو مرجعاً للجميع .
– والملاك كان جسماً نشيطاً لا يقر له قرار ، كان ملكاً وزئبقاً معاً .
– كان متوجهاً للنزهة فى الفردوس ، لكنه التقى بالموت فى الطريق عرضاً .
– وسأله ما اسمك وما عملك ؟ فالعين لا تستسيغ النظر إليك .
– ولما سمع ملك الموت ذلك قال : أنا الأجل وعملي واضح .
– إننى أطيح بعدة الحياة وعتادها ، وأطفئ شعلة الدنيا .
– وفى عيني سحر العدم ، وإشارته هى رسالة الفناء .
– وهناك فى هذه الدنيا شئ مثله مثل النار وأنا كالزئبق أمامه .
– وهو كامن كالشرر فى قلب الإنسان ، وهو كالنجم فى عين النور المطلق .
– ويتقطر كالدموع من الأعين ، دموع تستساغ مرارتها .
– وعندما سمع العشق حديث الموت ، ارتسمت الابتسامة على شفتيه بوضوح .
– ونزلت هذه الابتسامة على الأجل كالصاعقة، فأنى للظلام أن يحيا فى النور .
– وهكذا صار الموت فناءً عندما رأى البقاء ، وكان الموت صيداً للقضاء .

الزهـــد والفســـق

– أحكى حكاية أحد الشيوخ ، ولا أروم بذلك إظهار حدة طبعى أو تعصبي.
– كان فائق الشهرة لنشأته الصوفية ،ويحترمه الجميع: كبار القوم وصغارهم .
– كان يقول إن الشريعة كامنة فى التصوف ، مثلما المعاني مضمرة في الكلمات .
– وكان إبريق قلبه يفيض بخمر الزهد ، بينما قاع الإبريق مملوء بجميع رواسب ألم الخيال .
– كان يظهر كراماته ، حتى يضاعف من أعداد مريديه .
– كان يسكن بجوارى منذ فترة ، وهكذا كان لقاء الفاسق بالزاهد منذ زمان .
– سأل الشيخ أصدقائى فقال : إن إقبالاً مثل طائر القمري على شجرة صفصاف المعاني .
– فكيف يلتزم بأحكام الشريعة ؟ مع أنه مثار حسد الكليم الهمدانى [1] .
– وأسمع أنه لا يعد الهندوسى كافراً ، وهذا الاعتقاد لديه من أثر دراسة الفلسفة .

---

[1] كليم الهمدانى هو ملك الشعراء فى بلاط الإمبراطور المغولى شاهجهان ، توفى عام ١٠٦١م . (المترجم)

– كما أنه يميل إلى التشيع ، وقد سمعناه يتحدث بلسانه ويفضل علياً .
– ويعتقد أن الغناء يدخل فى صلب العبادات ، ولا يقصد من ذلك إلا الإهانة.
– ولا يخجل من الذين يتجارون بالحسن ، وهذه عادة قديمة عند شعرائنا .
– حيث يكون الغناء فى الليل والتلاوة فى السحر ، وهذا الرمز لم تتكشف معانيه لنا حتى الآن .
– لكنى علمت من مريدي ، أن شبابه نقى مثل السحر .
– هو مجموعة من الأضداد وليس هو إقبال ، قلبه كتاب للحكمة بينما هو ذو طبيعة مذبذبة .
– هو عليم بالفسق والتهتك وعالماً بالشريعة ، ولو سألته عن التصوف فإنه يبـدو كأنـه المنصور الثانى [١] .
– ولو تكشفت لنا حقيقة هذا الشخص ، فربما يكون مؤسساً لإسلام جديد .
– والخلاصة أننى أسهبت فى الوعظ حتى يثبت الحديث عن بيانه .
– فالكلام الذى يقال فى هذه المدينة يدركه الجميع ، وقد سمعته أيضاً على ألسنة أصدقائى .
– وذات يوم قابلت السيد الزاهد على قارعة الطريق ، فردد فى حديثه نفس الكلام القديم .
– قال : إن الشكوى كانت بسبب الحب ، وكان فرضاً علىَّ أن أرشدك إلى طريق الشريعة .
– قلت له إننى لست متضايقاً ، فقد كان هذا واجبك بحكم الجوار .
– إننى أخفض رأس التسليم أمامكم ، وبسبب التواضع تحول شبابي لشيخوخة .
– لو أنك لا تعرف حقيقتي ، فلا يدل هذا على قصور فى معرفتك .
– أنا نفسى لا أعرف حقيقة ذاتي ، وأن ماء بحر أفكاري عميق .
– أنا أيضاً أتمنى أن التقى بإقبال ، ولطالما سالت دموعى الغزيرة على فراقه .
– إن إقبالاً لا يعرف إقبالاً ، والله ليس فى هذا الأمر سخرية .

القلـــــب

– إن قصة الحبل والمشنقة لعبة القلب الطفولية ، واللجوء إلى كلمة "أرنى" [٢] هى أسطورة القلب .

---

[١] هو الحسين بن منصور الحلاج (٨٥٨–٩٢٢م) وهو صوفى كبير ولد فى فارس . (المترجم)
[٢] إشارة إلى الأعراف : ١٤٢ . (المترجم)

– يا رب ما هذه الخمر التي في هذا الكأس الممتلئ ، إن مقياس القلب هو الطريــق إلــى عالم البقاء .

– يا رب هل كانت هذه سحابة الرحمة أم صاعقة الحب ، فعندما احترقت مزرعة الوجود نبتت حبة القلب .

– يمكن أن تجد كنز الحسن الثمين ، فأنت يا فرهاد لم تحفر قط وحشة القلب .

– سواء انخدعت بالكعبة أحياناً وبالعرش أحياناً أخرى ، يا إلهى من ذا الذى يأثر منــزل قلبي .

– له جنونه ولى متاعي وحظي ، القلب متيم بشخص آخر ، وأنا القلب المتيم .

– أيها الزاهد الغافل ! أنت لا تدرك كنهه ، إن عثرة القلب الطروب أفضل من مائة سجدة .

– إنه يحول كومة التراب إكسيراً ، لأن فيه أثر تراب فراشة القلب .

– ويطلق سراح القلب بعد أن يقع فى فخ العشق ، وعندما يبرق يخضر هذا النخل .

مــــوج النهـــــر

– لا يقر لى قرار بسبب اضطراب قلبى ، والاضطراب مثل الزئبق هو عين الحياة .

– الموج هو اسمى والبحر ضحل بالنسبة لي ، ولا تكبلني دائرة الدوامة قط .

– استمع إليَّ فأنا مثل الهواء ، ولا تتعلق بطرف ردائي زعانف السمك أبداً .

– أقفز أحياناً بسبب جاذبية القمر المكتمل ، وأحياناً أضرب رأسي بالشــاطئ مــن فــرط الحماس .

– هو كعابر سبيل أحب منزلي ، فلم لا أضطرب وليسأل أحد ما قلبي .

– أنا هارب من مشقة ضيق النهر ، وأنا قلق من فراقي لسعة البحر .

إلى اللقاء يا محفل الدنيا

(مقتبس من إيمرسن)

– إلى اللقاء يا محفل الدنيا أنا راحل إلى الوطن ، آه ! أنا مضطرب فى هــذه المعمــورة الخربة .

– قلبي سقيم لست جديراً بهذا المحفل ، أنت أيضاً لا تناسبني ، وأنا لا أناسبك .

– فبلاط السلطان ومقر الوزير كلاهما قيد لي ، لكن أسير هذه السلســلة الذهبيــة ســوف يحطمها .
– مع أن فتنتك لها لذة عارمة ، إلا أن فى معرفتك غربة .
– منذ فترة وأنت نفسك مصاحب لهذه الزينة ، ومنذ زمن بعيد وأنت نفسك مثل موج البحر لا يقر لك قرار .
– منذ وقت طويل وأنا أجلس فى مجلس فتنتك ، أتلمس النور فى الظلام .
– وقد بحث المشاهدون كثيراً عن شوك الوردة ، وا أسفاه ! إنني لم أجد يوسف فى سوقك .
– والعين الحيرى تبحث عن الآخرين ، وقد ألقيت بنفسي في الطوفان أملاً فى الساحل .
– أتذهب إلى روضتك بعد أن تتركها مثل الأريج ، وداعاً يا محفل العالم أنا ذاهب صوب الوطن .
– أبتنى لي بيتاً في حضن الجبل الصامت ، واأسفاه ! أين هذه المتعة فى موسيقى الحديث !
– وسأكون رفيقاً للوردة وجليساً للنرجس ، ستكون الروضة وطني ، والبلبل جاري .
– ينيمني صوت الغدير ، وفى الصباح يوقظني طائر القمري من الفراش الأخضر .
– الجميع يفضلون محفل الزينة فى عرس الحياة ، ولكن قلب الشاعر يحبذ كنز الوحدة .
– أنا مجنون لذلك اضطرب من العمران ، فما الذى أبحث عنه فى الجبال والوديان ؟
– أى شوق هذا الذى يجعلني هائماً في المراعى ، وينيمني على حافة عيون الماء ؟
– تنتقدني لأني متيم بزاوية العزلة ،انظر أيها الغافل فأنا رسول محفل القدرة !!
– أنا من نفس وطن الصفصاف وأنا عالم بأسرار طائر القمري ، أنا صوت يسمع في أذن صمت الحديقة .
– أُسمع ما أسمع للآخرين ، وأُريهم ما أرى .
– القلب عاشق للعزلة وأنا فخور ببيتى ، ولا أكترث بكرسي دارا أو عرش الإسكندر .
– إننى أتمدد تحت الشجرة من تأثير السحر ، عندما أرمق نجوم السماء بناظرى .
– كيف يمكن لهذا أن يظهر فى دار عالم الحيرة ، إن سر الوجود والعدم يتجلى فى ورقة الوردة .

طفــــــل رضيـــــع

– لقد نزعت عنك السكين وأنت تصرخ ، أنا حليم بك وأنت تعتبرني قاسياً .

– لكنك ستبكي أيها القادم على إقليم الغم ، فاحذر من سن القلم المدبب حتى لا يخزك .
– آه ! لماذا تحب الأشياء التى تجلب لك الألم ؟ لا جدوى من اللعب بقصاصات هذه الورقة .
– أين كرتك وأين القطة الخزفية ؟ وأين الحيوان الصغير مكسور الرأس .
– لقد كانت مرآتك متحررة من غبار الأماني ، وعندما تفتحت عينيك كانت شرارة الرغبة تلمع فيها .
– كانت كامنة فى طريقة النظر وفى حركة اليد،إن أمنيتك حديثة الولادة مثلك .
– إن حياتك حرة من قيود التمييز ، لكن سر القدرة يتجلى فى عينيك .
– وتصرخ عندما تضجر من شئ ما ، يا لها من غرابة ! إنك تتصالح بورقة لا قيمة لها .
– آه ! فأنا أيضاً أشاركك هذه العادة ، أنت متقلب المزاج وأنا متقلب المزاج .
– أنا مفتون بالمتعة الطارئة وأصرخ من أجلها ، فأغضب سريعاً وأتصالح سريعاً .
– إن عيوني يبهرها الحسن الظاهري ، ولا يقل جهلي عن جهلك شيئاً .
– أنا أيضاً على شاكلتك مرة أبكي ومرة أضحك ، أنا شاب فى الظاهر لكني طفل جاهل أيضاً .

صـــورة الألـــم

– قصتي ليست في حاجة إلى منة السماع ، فالصمت حديثي والسكوت لغتي .
– كيف يكون قانون عدم السكوت فى محفلك ؟ فلسانى يتوق إلى الحديث فيه .
– أوراق قصتي مبعثرة في جميع أنحاء الروضة ، وقد حمل بعضها الورد والنرجس وشقائق النعمان .
– اجتمع اليمام والببغاوات والعنادل وجميع طيور الروضة وسلبونى طريقة نواحى .
– أيها الشمع ! تقطر من عيون الفراشة كالدموع ، فكلي ألم وقصتي تغص بالحسرة .
– يا إلهي ! أى متعة فى البقاء فى هذه الدنيا ، فأنا لا أملك حياتي الخالدة ولا موتي المفاجئ .
– ليس هذا بكائي فحسب ، بل هو بكاء كل الحديقة ، أنا الوردة وهكذا فخريف كل وردة هو خريفي .
– "لقد أمضيت عمراً مديداً فى منزل الحسرة هذا رهناً لسحر الجرس ، وصراخى بلا نفس من فيض حماس القلب" [1] .

---

[1] هذا البيت باللغة الفارسية . (المترجم)

– ولا أعلم بمجلس الطرب فى رياض الدهر ، فأنا ذلك المحروم من السرور الذى تبكـــي عليه السعادة .

– ويبكي على حظي العاثر ، أنا كلمة على طرف الشفاة تخجل الأذن سماعه .

– أنا قبضة تراب مضطربة ، لكني لم أدرك بعد: أأنا الإسكندر أم المرآة أم الغبار ؟!

– ومع كل هذا فإن حياتي هي هدف القدرة ، أنا النور الكامل الذى هو في الحقيقة ظلمة .

– أنا الكنز الخفي في قبضة تراب الصحراء ، ولا يعلم أحد أين أنا ؟ ولا إلى من أنتمي ؟

– إن نظري ليس ممتناً للنزهة فى ميدان الحياة ، أنا ذلك العالم الصغير الذي أنت إقليمه .

– أنا لست خمراً ولا ساقياً ولا سكراً ولا كأساً ، أنا حقيقة كل ما فى خمارة الحياة .

– لقد كشفت لي مرآة القلب سر العالمين ، لهذا أقول كل ما يتراءى لي أمام عيني .

– أعطيت سحر البيان وسط أهل البيان ، بعد أن شاركتني طيور سقف العــرش الشــدو والألحان .

– هذا أيضاً من تأثير جنون متعة الفتنة ، فقد صارت مرآة قلبي عارفة بسر القضاء .

– إن منظرك يبكيني يا أرض الهند ، وقصتك أكثر عبرة من جميع القصص .

– لقد أعطيت كل شئ عندما منحت القدرة على البكاء ، وخــط قلــم الأزل اســمي بــين النائحين .

– لم يترك قاطف الورد فى الحديقة أثراً لورقة ورد واحدة ، وكانت المعارك التــى دارت بين حراس الحديقة من نصيبك .

– لقد أخفى الفلك البرق فى طيات أكمامه ، وعلى عنادل الحديقة ألا يجلسوا غافلين فــى أعشاشهم .

– واسمع أيها الغافل صوتي ! فهو تلك الترانيم التى تردده طيور البساتين .

– أيها الغافل ! عليك أن تفكر فى الوطن لأن المصائب قادمة ، وخطــة الاتفــاق علــى تحطيمك تحاك فى السماء .

– ولتنظر قليلاً إلى ما يدور حالياً وما سيحدث ، إن قصص العهود الأولى قد تكررت .

– إلى متى هذا الصمت ؟ أظهر بداخلك لذة الصياح ، فــإن كنــت علــى الأرض إلا أن صوتك يصل إلى السماء .

– يا أهل الهند ! لو لم تدركوا ذلك فسوف تمحون ، وقصتكم لن تكون حكاية تذكر من بين القصص .

– هذا هو قانون القدرة وهذا هو أسلوب الفطرة ، ومن يسلك طريق العمل يكون محبوبــاً من الفطرة .

- سوف أتجاوز اليوم جروحى الخفية ، وسأبكي دماً حتى أترك هذا المحفل بستاناً .
- يجل على أن أضئ جميع شموع القلب من الحرقة الخفية ، وسأصبح مصابيح تضئ لياليك المظلمة .
- لقد أظهرت ألم القلب لكن على هيئة براعم ، سوف أنثر تراب قلقي في الروضة وأمضي .
- وأجمع تلك الحبات المبعثرة فى سبحة واحدة ، ولو صار هذا الأمر صعباً فسأحل صعوبته وأمضي .
- يا جليسي اتركني في هذا العمل الذى ينم عما فى الصدر ، وسأظهر أثر حرقة الحب وأمضي .
- وسأكشف للعالم ما رأته عيني،وسأجعلك حائراً مثل صورة المرآة وأمضي .
- إن العين المبصرة ترى ما هو مختف خلف الحجب ، وترى ما تقتضيه طبيعة الزمان .
- أنت لم تعلم قلبك متعة السمو ، لذا أمضيت عمرك فى الحضيض مثل آثار الأقدام .
- لقد ظل قلبك مرتبطاً بالمحفل لكن ناظريك ، لم يعرفا الحيرة خارج المحفل .
- كنت تقدم قلبك فداءً لدلال الحسناوات ، لكنك لم تر أعداءك في هذه المرآة قط .
- أيها الجاهل ! دع عنك التعصب فهذه الصور التى تبجلها قبيحة ، هى صورك فى مرسم الدهر .
- لتكن أنت أنين ظلم حرقة الحياة ، فإن الصوت كامن فيك مثلما هو فى حبة السبند .
- فهل صفاء القلب له صلة بألوان الزينة ، إنك أيها الجاهل قد وضعت الحناء على كف المرآة .
- الأرض والسماء كلاهما تبكيان على نظرتك القاصرة ، ومما يثير الغضب أنك هجرت آيات الذكر الحكيم .
- ماذا يحدث لو سقطت دعوى التوحيد من على لسانك ، فقد صنعت من صنم التكبر إلهاً لك .
- لو رأيت يوسف فى البئر لما اعتبرت مما رأيت ، يا غافلاً ! لقد قيدت من كان طليقاً .
- لديك شوق عارم لاعتلاء المنبر لإلقاء الخطب الفصيحة ، وأنت فى إبداء النصيحة كأنك تروى حكاية .
- فاعرض على عينيك الندية هذا الجمال المحرق للعالم ، وذلك الجمال الذى يقلق الفراش ، ويبكى الندى .
- أيا المهووس! ليس هذا هدف حكمة خلق العيون ، فقد خلقت عيون آدم لغرض معين .

– فلو رأى العالم بأسره فماذا عساه قد رأى ؟فقد كان جمشيد ينظر إلى حقيقته فى الكـــأس ليس إلا .

– الفُرقة هي الشجرة وثمارها التعصب ، وهذه هى الفاكهة التى أخرجت آدم من الجنة .

– حتى إن ورقة ورد واحدة لم تستطع أن تتحمل جاذبية الشمس ، لكن أمنية السمو تجعل الندى يصعد إليها .

– إن مجروحي المحبة لا يدورون بحثاً عن العلاج ، لكنهم يصنعون المرهم لأنفسهم .

– والقلب كله يصبح نوراً من شرر المحبة ، ومن بذرة صغيرة تنبت بساتين الطور .

– دواء كل ألم هو البقاء جريح سيف الأمنية ، وعلاج الجرح هو التحـــرر مـــن إحســـان خياطته .

– إننى أُحلق فى الفلك من سُكر شراب نفي ذاتي ، وتعلمت من انكسار اللون أن أبقى مثل الرائحة .

– أنَّى للعيون الباكية أن تمتنع عن النواح على الوطن ، والعبادة هى بقاء عين الشاعر فى وضوء كل لحظة .

– لماذا أبنى عُشي على فرع الوردة ، ما فائدة البقاء فى الحديقة عندما يكون البقـــاء بـــلا كرامة .

– إن كنت تفهم فافهم أن الحرية كامنة فى المحبة ، أما العبودية فهى البقاء أسيراً للتفرقـــة بيني وبينك .

– إن الاستغناء عن الماء هو أن تقلب الكأس ، ويجب أن تبقى حياتك مثل حباب النهر ؟!

– خير لك ألا تعيش غير مبال بأقاربك ، يا غريب الطبع كيف توافق على الحياة فى هذه الدنيا ؟!

– إن حب البشرية هو الخمر التى تروي الروح ، وهو الذى علمني النشوة بلا كـــأس ولا إبريق .

– لقد نالت الأمم المريضة الشفاء من المحبة ، وبالمحبة أيقظت الشعوب حظها النائم .

– إن صحراء الحب هى فلاة الغربة وهى الوطن ، وهى القفـــص وهـــى العـــش وهـــى الروضة أيضاً .

– الحب هو البيت وهو المنزل والصحراء كذلك ، وهو الجرس والقافلة والمرشد وقـــاطع الطريق أيضاً .

– يقول عنه الجميع أنه مرض لكن هذا المرض ، كان فيه علاج دوران الفلك القديم كذلك .

- وكأن إحراق القلب يحوله نوراً كاملاً ، وهذه الفراشة المحترقة تصبح شمعاً للمحفل .
- الجمال واحد إلا أنه يتجلى في كل شئ ، فهو شيرين وهو جبل البيستون [1] وهو من شق الجبل .
- إن التمييز بين الدين والقانون أنهك الشعوب ، فهل في قلب مواطنينا أى اهتمام بالوطن .
- إن طول قصة الألم تعلم الصمت ، ولدي لسان في فمي ورغبة في الكلام .
- القصة ليست قصيرة ولذا أرخيت حبل المعنى ، والحكاية بلا نهاية وقد ذكرتها في صمت .

أنيـــــن الفـــــراق

(

ف

ى

ذ

ك

ر

ى

أ

---

[1] إشارة إلى قصة (خسرو وشيرين) الفارسية لنظامي الكنجوي ، والبيستون هو اسم الجبل الذى حفر فيه فرهاد نهر اللبن (المترجم) .

ر
و
ن
و
ل
د
)

(
١
(

– أيها المنزل لقد رحل ساكنك أخيراً إلى الغرب ، وا أسفاه ! فلم ترق له أرض الشرق .
– لقد تأكد قلبى اليوم من هذه الصداقة،فنور يوم الفراق لا يقل عن ظلمة الليل .
– إن حضن وداعه ترك أثر جرح يدعو للدهشة ، فكان فى عيني الباصرة مثـــل الشـــمع المقتول .
– أنا قتيل العزلة ، أضطرب من الناس فى المدينة ، فأرحل عنها من شدة الجنون .
– وأجعل قلبى يخفق من ذكرى الأيام الماضية ، وأسرع لألتمس الطمأنينة من جانبك .
– والعين تأنس من مكانك ، لكن الغربة تبدو من سلوكي .
– كانت كل ذرة فى قلبي تعرف الشمس، وكانت المرآة المحطمة تعكس العالم .
– وكان نخل آمالي مخضوضرا ،وا آسفاه ! من ذا الذى كان يتوقع ما حدث ؟!
– لقد نزعت سحب الرحمة الأكمام من روضتى ورحلت ، وقد أنزلت مطراً على بـــراعم الأمانى وانقشعت .
– أين أنت يا كليم –طور سيناء– العلم ، لقد كان موج أنفاسك أريجا يزيد من نشاط العلم .
– أين الآن ذلك الشوق الذى كان يجعلنا نطوي صحراء العلم ، وبأنفاسك أصـــاب رأســـنا جنون العلم .
– أين توارى صخب ليلى الذى يزيد الجنون ، ويجعل تراب المجنـــون غبـــاراً لخـــاطر الصحراء .

---

(١) هو المستشرق الإنجليزى "توماس أرنولد" عمل أستاذاً للفلسفة فى جامعة عليكره ، توفي عام ١٩٣٠م (المترجم) .

– سوف تفتح يد الوحشة عقدة القدر ، وأصل بعد أن أحطم قيود البنجاب .
– العين الحيرى ترنو إلى صورتك ، فكيف بذلك المتلهف على الخطابة .
– إن فم الصورة لا تتحمل حرارة الكلام ، وما نطلق عليه اسم الصمت هو حديث الصورة .

القمـــــــر

– إن وطنك يبعد مئات الأميال عن خرابتي ، لكن نهر قلبي تحركه أمواج مدك وجزرك .
– إلى أى محفل تنوي الذهاب ومن أى محفل أتيت ؟ لعلك شاحب الوجه بسبب آلام البقاء فى المنزل .
– أنت خلقت من نور كامل وأنا من الظلام ، لكني أشاركك في سواد نهارك هذا .
– آه ! إننى أحترق من حرقة شوق الرؤية ، وأنت كذلك تحترق بأكملك من وسمة إحسان الشمس .
– إن حركتك تقوم على الدوران ، ودوراني أيضاً مثل دوران الفرجار .
– أنت تائه فى طريق الحياة ، وأنا حيران ، أنت تضئ محفل الوجود وأنا أحترق .
– إن الطلب من طبعك وهذا أيضاً ديدني ، وضوءك هو نورك والحب هو نوري .
– لي محفل حيثما أكون ، أنت فريد فى محفلك ، وأنا وحيد أيضاً .
– إن شعاع الشمس بالنسبة لك هو رسالة الموت ، وهذا يجعلنى أذوب فى جلوة الحســـن الأزلي .
– ماذا بعد أيها القمر المبين ؟ أنا فى جانب وأنت فى جانب ، والجنب الذى يشكو من الألم هو جنب آخر .
– مع أننى كلي ظلام وأنت كلك نور ، فأنت تبعد مئات المنازل عن ذوق المعرفة .
– إننى أعرف هدف حياتي ، وهذا الضياء محروم منه جبينك .

بـــــــلال

– عندما تلألأ نجم قدرك ، أحضرك من الحبشة إلى الحجاز .
– هكذا سكت بيت أحزانك ، وتحرير الآلاف كان صدقة لعبوديتك .
– لم تفارقك تلك العتبة لحظة واحدة ، ولقد استعذبت الظلم من أجل الشوق لأحد ما .
– إن الجفاء الذى فى العشق ليس جفاءً ، فالحب بلا جفاء لا طعم له .

– كانت نظرتك صورة من سلمان (الفارسي) العالم بالحقيقة ، كان يزيد من شراب الرؤية وأنت عطشان .
– كانت مشاهدتك مرغوبة للغاية مثل الكليم ، وكان أويس (القرني) يخشى قوة الرؤية .
– وكأن الصحراء كالطور بالنسبة لك ، وكأن المدينة نور لعينيك .
– وكان نظرك فيه حسرة الرؤية ، والقلب البارد يحترق ولا يستريح .
– لقد سقط البرق على روحك القلقة،وكانت ظلمتك تضحك على يد موسى [١] .
– سلبوا الحرارة من الشعلة وألقوا بها فى قلبك ، أى برق تجلى وهبط على حشائش محصولك .
– كانت الطاعة هى كل نهجك ، بينما كانت صلاتك استمرار النظر لأحد ما .
– وصار الأذان هو أغنية عشقك منذ الأزل ، وأصبحت الصلاة سبيلاً لهذا المشهد .
– ما أسعد ذلك الزمان الذى كانت فيه يثرب مقامه ، وما أسعد ذلك العهد الذى كانت رؤيته متاحة للعامة .

سيــــرة آدم

– ليسمع أحد مني حكاية بؤسي ، وقد نسيت قصة العهد الأول .
– لم تطب نفسي في رياض الجنة ، بعد أن شربت من الكأس النارية .
– وقد أخذت أبحث عن حقيقة العالم ، وأظهرت سمو الخيال لساكن الفلك .
– إن طبعي محب للتغير إلى حد ما ، ولا يقر لي قرار في أي مكان تحت السماء .
– وقد أخرجت الأصنام من الكعبة حيناً، ونصبت الأوثان فى الحرم حيناً آخر .
– أحياناً وصلت إلى جبل الطور شوقاً للكلام ، وأخفيت النور الأزلي تحت أكمامي .
– وذات مرة صلبني أنصاري على الصليب ، وسافرت إلى السماء بعد أن تركت الأرض .
– أختفي أحياناً لسنوات فى غار حراء ، ثم أعطيت الكأس الأخيرة للعالم .
– وبعد أن قدمت إلى الهند أسمعتهم النشيد الرباني،وآثرت حيناً أرض اليونان .
– ولما لم تسمع ديار الهند صوتى ، سكنت أرض اليابان وبلاد الصين .
– قلت أحياناً بأن العالم أسس من تركيب الذرات ، قلت على عكس ما تذكره تعاليم أصحاب الأديان .
– خضبت الأراضى الكثيرة بالدم ، وأشعلت الحرب بين العقل والدين فى هذه الدنيا .

---

[١] إشارة إلى قوله تعالى : "...تخرج بيضاء من غير سوء" . (المترجم)

– عندما عجزت عن فهم حقيقة النجوم ، قضيت ليالي كثيرة في هذا التفكير .
– ولم تستطع أن ترهبني سيوف الكنيسة، فعلمت العالم مسألة دوران الأرض .
– وكشفت سر الجاذبية للدنيا ، ووضعت على عيني منظار مرآة العقل .
– وأسرت أشعة البرق المضطرب ، وجعلت على هذه الأرض جنة مثيرة للغيرة .
– لكنني للأسف لم أتمكن من معرفة سر الحياة ، مع أنني سيطرت على العالم بعقلي .
وفى النهاية عندما فتحت العين المحبة للمظاهر ، وجدت ذلك السر المكين فى سويداء القلب .

نشيد الهند

– هندنا أجمل بلاد الدنيا ، نحن بلابل وهى روضتنا .
– حينما نغترب عن وطننا ، يظل باقياً فى قلبنا ، فاعلموا أن وطننا قائم فى قلبنا .
– إن الجبل السامق الذى يناطح السماء ، هو حارسنا وحافظنا .
– يلعب في كنفه آلاف الأنهار ، وغدت حدائقه مثار غيرة الجنة .
– يا ماء نهر الجانج هل تذكر الأيام الخوالي ، التي نزلت فيها قافلتنا على ضفافك .
– إن الدين لا يحثنا على التفرق فيما بيننا ، فكلنا هنود ووطننا الهند .
– لقد دال الحكم القديم لليونان ومصر وروما من الدنيا ، إلا أن اسمنا وآثارنا باقية حتى الآن .
– هناك سر فى بقاء وجودنا ، مع أن الدهر يعادينا منذ قرون .
– يا إقبال ! لا يعرف أحد فى الدنيا سري ، ولا يدري أحد بألمي الخفي [١] .

اليراعة

– هل هذا ضياء اليراعة فى الخميلة أم هو الشمع المضئ فى محفل الرياحين ؟
– هل هبط نجم من السماء ، أم عادت الروح إلى شعاع القمر ؟
– أم جاء مبعوث النهار إلى مملكة الليل ؟ لامعاً براقاً بعدما كان مجهولاً فى الوطن .
– هل كانت ومضة الجمال القديم الخفي ، الذي أتت به من الخلوة إلى الجلوة .
– وهل سقط زرار من عباءة القمر ، أم هي ذرة متوهجة من قميص الشمس .
– إن النور والظلام يكمنان فى هذا الهلال الذى يحتجب في الغمام تارة ويتجلى تارة أخرى .

---

[١] ترجم الصاوى شعلان هذا النشيد شعراً ونشره فى كتابه "إيوان إقبال" (المترجم) .

– الفراشة جذوة واليراعة شرر ، هذه تتلمس النور وتلك منبع النور .
– لقد وهب الله الجمال لكل شئ فى الدنيا ، وأعطى الحرقة للفراشة ومنح النور لليراعة .
– وجعل الطيور الصامتة ذوات أصوات عذبة ، ومنح اللسان للورود وعلمها الصمت .
– كان جمال منظر الشفق في زوال،فأضاء هذه الحورية ومنحها حياة قصيرة .
– ولون السحر كعروس في زينتها،وألبسها ملابس حمراء ومنحها مرآة الندى .
– وأعطى الظل للشجر والتحليق للهواء ، والصفاء للماء والتلاطم للأمواج .
– هذا هو التميز ولكن هذه طريقتنا ، فليلنا هو نهار اليراعة .
– إن جمال الأزل تتجلى مظاهره في كل شئ ، فهو الكلام فى الإنسان والتفتح في البراعم .
– وقمر السماء كأنه قلب شاعر ، وضوء القمر بالنسبة له وخزة الألم .
– إن طريقة الحوار هذه هي التي خدعتنا ، والنغمة هى رائحة البلبل وشذى الورود .
– إن سر الوحدة قد توارى في الكثرة ، ووميض النور الذي في اليراعة هو عبير الزهرة .
– فلماذا يكون الخلاف محلاً للثورة،عندما يختفي صمت الأزل في كل شئ. (١)

نجـــــم الصبـــــــاح

– هل أترك الجوار الطيب للشمس والقمر ، وأترك خدمة رسالة السحر ؟
– إن مواقع النجوم تتناسب مع مكانتي ، وانحدار أهل الأرض عندي أفضل من هذا السمو .
– ما السماء ؟ إن وطني هو أرض العدم ، وكفني هو طرف الصباح الممزق إرباً .
– الموت والحياة من نصيبي كل يوم ، وأشرب كأس الصبوح من يد ساقي الموت .
– لا طائل من هذا العمل وهذه العزة وهذه الرفعة ، والظلام أفضل من هذا النور الممتـد لساعة .
– لو كان باستطاعتي لما صرت نجماً ، وكنت جوهراً متلألأ فى قاع النهر .
– ولو اضطرب قلبي هناك من تصارع الأمواج ، فإننى أترك البحر وأصبح زينة لعنـق أحد ما .
– إن المتعة فى البريق هي أن أصبح زينة الحسن ، وأصبح زينـة لتـاج رأس زوجـة القيصر .

---

(١) ترجم الصاوى شعلان هذا القصيدة شعراً ونشرها فى كتابه "إيوان إقبال" (المترجم) .

– عندما استيقظ الحظ فإن قطعة حجر ، صارت فص خاتم يد سليمان .
– إن نهاية عمر هذه الأشياء هى التحطم،كما أن نهاية الجواهر الثمينة التكسر .
– الحياة هي نفسها الحياة ولو لم تعرف الأجل ، فهل الحياة ضرورة للأجل ؟
– ولو كانت هذه النهاية بعد أن أصبحت زينة العالم ، فلم لا أصبح قطرة ندى تسقط على وردة ؟
– وأظل بين النجوم المنثورة على إحدى الجباه ، وأكمن في شرر آهات إنسان مظلوم .
– وأصير دمعه معلقة بين الرموش ، وأتقطر من عيون هذه الزوجة .
– التى يرحل عنها زوجها بعد أن يختفى فى دروعه صوب ميدان الـوغى بـدافع حـب الوطن .
– فهي التي تظهر مشاهد اليأس والأمل ، ويخجل الحديث من صمتها .
– وهي التي تستمد حرارة الصبر من رضى زوجها ، ويمنح الحياء عيونها قوة الكلام .
– ويصفر لون خدودها الوردية ساعة الفراق ، وهي التي يزداد حسنها جاذبية بسبب حزن الفراق .
– تقطرت الدموع من عينها رغم محاولات منعها ، وفاضت من كأس العين المترقرقة .
– أمتزج بالتراب وأظفر بالحياة الأبدية ، وأظهر حرقة العشق للزمان .

النشيد الوطني لأطفال الهنـد

– إنها (الهند) الأرض التى لقنها الجشتى [١] برسالة الحق ، وتغنى فى حديقتها نانك بأغنية التوحيد .
– واتخذها التتار وطناً لهم ، وحملت أهل الحجاز على ترك صحراء العرب .
– هذا هو وطننا ، هذه هى بلادنا .
– هي الأرض التي دوخت اليونانيين ، وقدمت العلم والفن للدنيا بأسرها .
– هي الطين الذي منحه الحق خاصية الذهب ، وامتلأت بلاد الترك بالألماس من خيرها .
– هذا هو وطننا ، هذه هي بلادنا .
– وهي النجوم التي هوت من سماء فارس، ومنحتهم هذه الأرض بريق الفلك .

---

[١] هو معين الدين حسن سنجرى الجشتى من كبار أقطاب الصوفية فى الهند ، توفى عام ٦٣٣ (المترجم) .

– وهي المكان الذي استمعت فيه الدنيا إلى التوحيد ، والموطن الذي هب منه الهواء البارد على أمير العرب [٢] .
– هذا هو وطننا ، هذه هى بلادنا .
– هي الأرض التي عبادها كالكليم وجبالها كسيناء ، هي الأرض التي رست عليها سفينة نوح .
– هي الأرض التي رفعتها سلماً لسطح الفلك ، والحياة فى فضائها كالعيش فى الجنة .
– هذا هو وطننا ، وهذه هي بلادنا .

المعبـــد الجديـــد

– لو لم تغضب منى فسأقول لك قول الصدق يا برهمى ، لقد أصبحت أصنام معابدك قديمة .
– إننى تعلمت عداوة الأصدقاء فى الأصنام، وعلّم الله الواعظ الحرب والجدل .
– وفى النهاية بعدما أصابنى الضيق تركت الدير والحرم ، فتركت أساطيرك وتركت وعظ الواعظ .
– أنت تعتقد أن الله فى التماثيل الحجرية ، وأنا أعتبر كل ذرات تراب الوطن إلهاً لى .
– هيا نرفع حجب الفرقة بيننا ، ونجمع المفترقين ونزيل علامة الفرقة .
– إن القلب موحش منذ عهد بعيد ، تعال نبنى فى هذا الوطن معبداً جديداً .
– وليكن مكاننا المقدس مرتفعاً عن جميع أماكن الدنيا المقدسة ، ولتلتقى قمتـه بـأطراف السماء .
– وعندما نستيقظ كل صباح تغني أغاني ساحرة حلوة ، ونسقي خمر الحب لجميع النساك .
– وتكمن الطمأنينة والسكينة في أغاني النساك ، فالحب يساهم في نجاة أهل الأرض .

---

[٢] إشارة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (المترجم)

(الشاعـــــر) داغ [١]

– طويت عظمة غالب منذ فترة من الأرض ، وصار مهدى مجروح [٢] من سكان مدينـــة الصمت .

– لقد كسر الموت إبريق أمير مينائى [٣] في الغربة ، ولا تزال نشوة خمر أمير في عيون المحفل حتى الآن .

– لكن اليوم أصبحت الحديقة كلها في مأتم أيها الصديق ، بعد أن انطفأ الشـــمع المضـــئ وتحول المحفل إلى مأتم .

– أعد بلبل دهلي عشه في هذه الحديقة ، حيث يتغنى فيها جميع عنادل حديقة الوجود .

– آه ! لقد رحل داغ وجسده زينة الكفن ، وصمت آخر شعراء جهان أباد * .

– أين الآن الطلاقة وروعة أسلوب البيان ، لقد كانت نار الشباب كامنة في شجرة كـــافور الشيخوخة .

– إن الأمنية التي في كل قلب كانت على لسان داغ ، وكانت معشوقة المعنى هنـــاك بـــلا حجب ، وهي هنا داخل الهودج .

– فمن ذا الذى سيسأل الصبا عن سر سكوت الوردة ، ويخبر عن سر أنـــين البلبـــل فـــي الروضة ؟

لم يكن هناك غفلة عن الحقيقة في سمو الفكر ، مثلما عين الطائر تطل على عشـــه أثنـــاء تحليقه .

– وسيكون هناك من يعرضون لنا دقائق الموضوعات، وخيالهم المحلق الباحث عن الجديد .

– وسيصورون لنا مرارة الدوران ، وسيعرضون لنا دنيا الخيال الجديدة .

– وستظهر في هذه الروضة بلابل شيراز ، وسيكون هناك الآلاف من السحرة أصـــحاب المعجزات .

– وسينهض آلاف من آذر من معبد الشعر ، وسيقدم السقاة الجدد الخمر في كئوس جديدة .

---

[١] داغ : هو النواب ميرزا خان ، شاعر أردي اعتبره إقبال أستاذاً فى الشعر ، ولد فى عام ١٨٣١م وتوفى فى ١٩٣١م (المترجم) .

[٢] مهدى مجروح شاعر أردى من تلاميذ أسد الله خان غالب،توفى عام ١٩٠٢م (المترجم) .

[٣] هو أمير مينائى شاعر أردى توفى عام ١٩٠٠م (المترجم) .

* أى مدينة دهلى القديمة (المترجم).

– وستكتب كثير من تفاسير كتاب القلب ، وستكثر تعبيراتك يا حلم الشباب .
– ولكن من الذى سيرسم صورة العشق ، وقد ذهب رأس السهم فمن الذى يرمـــي القلـــب بالسهم .
– أنا أبذر بذرة الدموع في أرض الشعر ، وأبكي على داغ ، فلتبك أنت أيضاً على تراب دهلى .
– يا جهان آباد! يا ثروة محفل الكلام ، لقد وطئت أقدام الخريف حديقتك اليوم مرة ثانية .
– ووردتك الملونة قد ودعتك مثل الأريج ، آه لقد صار بيت الأردية خالياً من داغ .
– ربما لم يكن هناك شئ من الجاذبية فى تراب الوطن هذا ، فاختفى ذلك البدر في تراب الدكن .
– رحل السقاة وأصبحت الخمارة خالية ، ولم تبق ذكرى حالى [١] في مجلس دهلى .
– إن ظلم الأجل يجعل الأمانى تبكى دماً ، والموت لصياد يصوب سهمه فى الظلام .
– لكن اللسان لا يستطيع أن يجأر بالشكوى ، إن لون الخريف أيضاً هو سبب قيام الروضة .
– وكل هذه المنظومة بتأثير القانون العالمى ، مثل نفاذ الشذى من الروضة ورحيل قاطفى الورود من الدنيا .

السحابــــــة

– حلقت اليوم سحابة سوداء من المشرق ، وارتدى جبل سربن [٢] ثياباً سوداء مرة ثانية .
– وتوارى وجه الشمس تحت جنح السحاب ، وهب الهواء البارد كذلك ممتطيـــاً حصـــان السحاب .
– وهذه السحابة الصامتة ليس فيها ضجيج الرعد ، يا للعجب فهذه السحابة مثل خمارة بلا صخب .
– وقد جاءت السحابة منتشية إلى الروضة ، أتت لترصع اللآلى فى عباءة الوردة .
– واستيقظت الورود التي نامت بسبب حرارة الشمس ، وتفتحت الزهور التي كانت تنـــام فى حضن الأرض .

---

[١] هو الشاعر والناقد الأردى الطاف حسين حالى (١٨٣٧-١٩١٤) وهو تلميذ أسد الله حان غالب ، وقد أحدث ثورة كبيرة فى الشعر الأردى عندما نشر كتابه النقدي الشهير "مقدمة شاعر وشاعرى" ونشر هذا الكتاب مترجماً للعربية فى المجلس الأعلى للثقافة بعنوان : "الشعر والشاعرية" (المترجم) .

[٢] جبل سربن يقع في شمال باكستان (المترجم) .

– وارتفعت السحابة بقوة الهواء وطارت ، وارتفعت سحابة أخرى فبدأت السحابة تمطر .
– إنها خيمة مدهشة لسكان هذا الجبل ، حيث يقيم هنا المتجولون في هذا الوادى .

طائـــــر ويراعـــــة

– كان طائر يغرد في أول الليل ، واقفاً على غصن شجرة .
– فرأى شيئاً ما يتلألأ على الأرض ، فطار إليه الطائر بعدما علم أنه يراعة .
– قالت اليراعة : أيها الطائر المغرد ، لا تدس منقار طمعك الحاد على عاجز مثلى .
– الله هو الذى منحني البريق ، ومنحك التغريد ، ووهب الوردة الأريج .
– أنا مستورة بحلة النور ، وأنا كالطور بالنسبة لعالم الفراشات .
– إن تغريدك فى الأذن كمتعة الجنة ، وبريقي يبدو كمتعة الفردوس .
– لقد منحت القدرة الضياء لجناحي ، وأعطتك صوتاً عذباً جذاباً .
– وهي التي علمت منقارك الشدو ، وجعلتنى مصباحاً للحديقة .
– منحتني الضياء ومنحتك التغريد ، وهبتني الحرقة ووهبتك النغمة .
– والحرقة لا تخالف النغمة ، لأنهما فى العالم متلازمان .
– وكلاهما أساس نشأة محفل الدنيا ، وأساس ظهور الرفعة والانحطاط .
– ومحفل الحياة من انسجامها ، ومنهما يكون ربيع هذه الروضة .

الطفـــــل والشمـــــع

– أيها الطفل الصغير ، يا من طبعه كطبع الفراشة ، ماذا يحيرك ؟ أنت ترنو إلى لهيـــب الشمع ساعات طويلة .
– لماذا هذه الحركة وأنت جالس فى حضنى ؟ هل تدعي أنك تحتضن النور ؟
– إن قلبك الصغير حائر من هذه المناظر،فهل هذا يذكرك بشئ رأيته وتعرفه ؟
– إن الشمعة شعلة واحدة ، ولكنك أنت النور كله ، آه ! فهى كالعريان فى المحفل وأنـــت مستور .
– من ذا الذى يعلم لماذا جعلته يد القدرة ظاهراً ، وأخفتك أنت فى فانوس التراب المظلم .
– ونورك اختفى تحت نقاب المعرفة،وحجاب المعرفة كالغبار للعين المبصرة .
– إن الذى نطلق عليه اسم الحياة هو النسيان ، وهو الحلم والغفلة والنشوة والسكر .
– إن محفل القدرة هو نهر الحسن الذى لا شاطئ له ، فلو تنظر العين ترى طوفان الجمال في كل قطرة .

– الحسن كامن فى صمت الجبال المطبق ، وهذا هو الجمال الخفي في ضـــوء الشـــمس وظلام الليل .

– إنه كامن في مرآة سماء الصباح، وفي ظلام المساء وفى شفق بائع الورود .

– هو في عظمة القدماء وآثارهم الدارسة ، وفي محاولات الطفل الناشـــئ الـــذي يحـــاول النطق .

– وفي الأصوات المتجانسة لقاطنى ساحة الروضة ، وفي سعى الطيور الصـــغيرة لبنـــاء أعشاشها .

– الجمال موجود في عين الماء الجبلية ، في انطلاق النهر ، وهـــو فـــي المدينـــة وفـــي الصحراء ، وفي الخراب ، وفي العمران .

– لكن الروح تهفو إلى شئ مفقود ، وإلا فلماذا تبكي في هذه الصحراء مثل الجرس ؟

– والحسن مضطرب أيضاً في هذا التجلي العام ، وحياتها كسمكة بدون ماء .

شاطـــئ نهـــر راوى

– نهر راوى مستغرق فى الغناء فى هدأة الليل ، فلا تسألني عن حالة قلبى .

– إن ارتفاع نغماته وانخفاضها بالنسبة لي رسالة السجود ، فقد صار العالم بأســره لـــي كأرض الحرم .

– أنا واقف على شاطئ الماء الجاري ، ولكني لا أعلم أين أقف .

– لقد تلون ذيل المساء من الخمر الحمراء القرمزية ، وشيخ الفلك يحمل الكأس فـــى يـــده المرتعشة .

– وقافلة اليوم مشت بخطى حثيثة نحو العدم ، ليس هذا بالشفق إنها أزهار الشمس .

– واقفة بعيدة تزيد من عظمة الوحدة ، هي أبراج قصر نوم الفارسي الجغتائى [1] .

– وهذا القصر هو أسطورة ظلم الثورة ، كان هذا القصر كتاباً يحكي عن عهد السلف .

– ما هذا المكان ؟ كأنه صامت ، ما هذه الأشجار كأنها محفل بلا ضجيج .

– هناك سفينة مسرعة تجري على صدر النهر ، بينما يصارع الملاح أمواجه .

– هذه السفينة تمضي كلمح البصر ، خرجت وابتعدت عن حد النظر .

– وهكذا تكون سرعة سفينة حياة الإنسان ، فهو يولد فى بحر الأبد ، وهكذا يختفى .

- إنه لم يكن يعرف الهزيمة أبداً ، فهو يغيب عن النظر لكنه لا يفنى .

---

[1] إشارة إلى الملك المغولى جهانكير حيث تقبع مقبرته على شاطئ نهر راوى فى مدينة لاهور بباكستان (المترجم) .

تضـــــرع مسافـــــر

(على ضريح حضرة محبوب إلهى [٢] ، دهلى)

– الاسم الذي تردده الملائكة هو اسمك ، مكانتك سامية وفيض كرمك عام .

– إن نجوم العشق قائمة بجاذبيتك ، ونظامك مثل نظام الشمس .

– إن زيارة قبرك فيها حياة للقلب ، فمنزلتك أسمى من المسيح والخضر .

– وطابع المحبة كامن فى محبتك ، فلك شأن كبير ولك احترام عظيم .

– مع أنني أسود القلب إلا أنني وسمة في شقائق نعمان روضتك ، أنا مكشوف الجبين مثل زهرة ربيعك .

– لقد غادرت الحديقة كما يغادر أريج الزهور ، أنا أريد أن أمتحن صبري بطريقة مقبولة .

– وقد جذبتني لذة شراب العلم ، فرحلت عن مرسم الوطن .

– أنا شجرة الصحراء ، ونظري مثبت على سحابة الكرم ، وقد جعلني الله مســتغن عــن البستاني .

– أنا من ساكني الفلك كالشمس فى هذا الزمان ، فليكن دعاؤك لي أن أعرج إلى السماوات .

– وليكن مقامي سامقاً بين زملاء سفري إلى هذا الحد ، الذى تعتبرنـــى القافلـــة منزلهـــا المقصود .

– وألا يكسر قلب أحد من سن قلمى ، وألا أشكو من أحد تحت السماء .

– ولتمزق القلوب تمزيقاً حتى تصير كالمشط حتى أنال من حضرتك مثل هذا العويل .

– وليقع بصرى على ذلك العش في الحديقة ، ذلك الذى بنيته بالتقاط الشوك والقش .

– وعندما أعود أضع جبيني على أقدام أمى وأبى ، فقد علماني سر المحبة .

– ذلك الشمع فى بلاط عائلة المرتضى ، ستظل عتباته عندي مثل الحرم .

– هو الذى فتح بنفسه برعم آمالي ، وخلق مني رجلاً ثاقب النظر بفضل مروءته .

– أدعو الله رب السموات والأرض ، أن يجعلنى مسروراً بزيارته مرة أخرى .

– هو يوسفي الثاني وهو شمع محفل العشق ، وهو الذي وهبت أخوته السكينة لروحي .

– والذي أحرق حبة كتاب الأنت والأنا ،ورباني في سعادة حتى أصبحت شاباً.

– وليظل مبتسماً كالوردة فى رياض الدهر ، فهو عندي أغلى من الروح بـــل هـــو روح الروح .

---

[٢] هو القطب الصوفى نظام الدين اوليا من كبار المتصوفة فى الهند وقبره بمدينة دهلى (المترجم) .

– وليتفتح برعم القلب ، ليصير وردة ، وليقبل تضرع المسافر .

غزليـــــــات

(١)

– لا تنظر إلى روضة الوجود نظرة أجنبي غير خبير ، لأن هذا الأمر جـــدير بالرؤيـــة فانظر إليه ملياً .

– لقد جئت إلى هذه الدنيا فانظر إليها كالشرر ، انظر حتى لا تغرر بك الحياة الزائلة .

– أنا أعتقد بأنني لست جديراً بمشاهدتك ، فانظر إلى شوقي وانظر إلى انتظاري .

– لو فتح ذوق الرؤية عينيك ، فانظر إلى آثار أقدام الحبيب فى كل ممر .

(٢)

– لو لم تأت لما كان في هذا جدال لكن هل كان من العار لو وعدت بالمجئ ؟

– لقد كشف حامل الرسالة كل الأسرار ، فهل كان للسيد دور فى خطأ العبد ؟

– وقد قابلت عاشقي في المحفل المزدحم،فهل كانت عينيك يقظة وهي سكرى ؟

– أيها الرسول لقد كنت تأمل فى مجيئه ، ولكن أخبرني كيف كانت طريقة رفضه ؟

– لقد توجه موسى بنفسه إلى جانب الطور ، هل كان هذا من جاذبية الشوق إلى الرؤية ؟

– إنهم يذكرونك يا إقبال فى كل مكان ، أكان فى شعرك شئ من السحر ؟!

(٣)

– يا رب ! إن ورع الواعظ عجيب ، إنه يعادى كل الدنيا .

– لا أحد حتى الآن يفهم ، أين يذهب الإنسان ومن أين يأتي ؟

– وهناك التقى الليل بالظلمة ، ووجدت النجوم اللمعان .

– إن قصة آلامنا ، نسمعها من العارفين بأسرارنا .

– كم كانت حيل الواعظ دقيقة جداً ، إنه يرتعش لسماع صوت الأذان .

(٤)

– من أين أحضر القش لبناء العش ، فالصواعق لا يقر لها قرار من أجل إحراقه .

– يا له من فشل ، فقد كسر الفلك الأعثر الغصن الذى نسجت عليه العش .

– إن عينيك تحدق فى اثنين وسبعين فرقة (دينية) ، ولديك كأس واحدة لكل الأزمان .

– وهكذا فقد أظهرت أمنية فى قلبي ، ورجعت إلى السماء لتمحوني .
– وعليك أولاً أن تجمع الحمص حبة حبة فى مخزن الحبوب ، وتظهر صاعقة لتحرقه .
– أيها الطائر الصديق لقد رجع الصياد خائباً ، وإلا لما جئت طائراً من أجل حبة واحدة .
– ولما غنى طائر القلب نشيد الحرية فى هذه الروضة .

(٥)

– ماذا أقول ، وكيف افترقت عن روضتي ، ولماذا أنا أسير فى حلقة شرك الهوى ؟
– إن ما يبعث على الحيرة هو أنني الأسوأ في جميع الأزمان ، فلماذا منحنى خلعة الشرف هذه ؟
– لقد اقتضت الحاجة الرؤية والظهور على جبل الطور ، فهل تعلم أيها القلب كيف انتهى الأمر ؟
– إن الطلب بدون غرض ، هو غرض فى حد ذاته ، فكيف تحرر طائر القلب من شـــرك التمنى ؟
– الذين يطلبون رؤيتك هنا ينظرون إليك كذلك ، فلماذا يجربون الصبر وعداً ليوم الحشر ؟
– ألا يكون الحسن الكامل سبباً لهذا السفور ! وإلا فلماذا كشفت النفس المغرورة المختفيـــة وراء الحجب نفسها ؟
– يا ألم الفراق ! إن وصفة علاج الموت لا تزال باقية ، كيف أكون بلا دواء ، والمعـــالج مجنون ؟!
– أرأيت يا عين العبرة ، كيف تخلق الوردة من التراب ثم تكتسي بالألوان ؟!
– كان الهدف من السؤال عن الأعمال هو خذلاني ، كل شئ ظاهر فلماذا وكيف حدث ذلك ؟
– لقد كان مشهد فنائي يستحق الرؤية ، ماذا أقول ؟ ولماذا ظهر لي ؟!

(٦)

– إنه وضع فريد وهم متفردون عن سائر الدنيا ، يا رب أى بلد يسكنها هؤلاء العشاق .
– إننى متيم بلذة الألم وعلاج الداء ، أخرجت الشوك فى الحروق بسن الإبرة .
– اللهم ابق حديقة آمالي يانعة ، فقد ربيت هذه الشجيرات بدم كبدي .
– إن سكون النجوم بالليل يبكينى ، إن عشقي عجيب وأنيني نادر .

– لا تسألني عن اللذة عندما يفقد المرء مسكنه ، فأنا بنيت آلافاً من الأعشاش ثم أحرقتها .
– إن التنكر لرفيق السفر إلى المنزل المقصود شئ غير طيب ، فتمهل أيها الشـــرر فإننـــا أيضاً راحلون .
– إن تمنى الحور علّم الواعظ كل شئ ، مع أن هذا الواعظ يبدو بسيطاً للوهلة الأولى .
– يا إقبال ! كيف لا تكون أشعارى محببة لديك ، إنها الأنين الحزين لقلبى المحطم .

(٧)

– يجب ألا ينظر أحد بعين الظاهر ، ولو أراد أحد الرؤية فليفتح عيون القلب .
– صارت شفاهُ الكلام رسالة الموت للمنصور ، فهل هناك أحد الآن يزعم أنه عاشق لأحد .
– لو لديك شوق للرؤية أغلق عينيك ، ولا تدع أحداً يرى ما تشاهده .
– أنا غاية العشق وأنت منتهى الجمال ، فإلى من ينظر هذا الإنسان ؟! إلىَّ أم إليك ؟
– إن جمال الحبيب يختلق عذراً لجريمة الحب ، أخشى ألا يأتى بعذر جديد يوم القيامة .
– يا جليسي إن نظرة الشوق لا تختفي قط ، هل هناك طريقة أخرى لرؤيته ؟
– ما الذى جعل الكليم جالساً فوق جبل الطور ، لو كان لدى أحد مقدرة للرؤية فليطالب بها !
– إن حركة الجفون هذه لم تساعد على الرؤية، فلينظروا إليك بعيون النرجس !
– أى متعة تلك لو تحققت أمانى الشوق،ماذا لو تحققت أمنيتى ولو لبضعة أيام !

(٨)

– ماذا أقول ؟ وإلى أى مدى أتمنى أن أكون قاسي القلب، ورونق ســوقي فــي صــفقات الخسارة .
– أنا أقارع الخمر فازدهارها فى حد ذاته يصبح روضة ، إن أريج الوردة سوف يســتمر حتى فراق الساقى عديم الرحمة .
– سيبقى الصياد فى الحديقة ما دام شدوي مشوقاً ، وستظل الصاعقة لا يقر لها قرار حتى تصل إلى عشي .
– أنا قبضة من تراب صرت كالصحراء من فرط الاضطراب ، فلا تسل عن رحابتى فهي ممتدة من الأرض إلى السماء .
– أنا جرس والأنين نائم فى كل عروقي ، وصمتي هذا مستمر حتى وقت رحيل القافلة .

– فمن سكون القلب تبزغ أسباب حل الأمور ، وعقدة الخاطر باقية ما دام الماء جارياً في الدوامة .

– إن الصمت يخيم على روضة الحب بسبب موت البلبل ، والحياة هنا في هـذا المكـان ملتزمة بتقاليد العويل .

– إن شهوة الرؤية ولذة التمني مرتبطة بالشباب ، وسكن منزلي دائم ما دام الضيف فيه .

– أنا ذليل فى الدنيا كلها فيا لي من جاهل !! أعتقد أن حبي لا يتعدى محرم أسراري .

(٩)

– إن الذى كنت أبحث عنه فى السماوات والأرض ، عثرت عليه فى منزل قلبي المظلم .

– عندما انكشفت حقيقتى أمام عينك ، وجدت مكانى كذلك فى منزل قلبي .

– لو يعلم حجر عتبة الكعبة مذاق السجود ، لذهب والتقى بكل جبين .

– أيها المجنون هل نظرت إلى ذاتك ذات مرة ؟ أنت نفسك من ركاب الهودج مثل ليلى .

– إن شهور الوصال تمر كأنها ساعات ، ولكن ساعات الفراق تنقضي كأنها شهور .

– فهل يمكن أن تمنعني من الغرق أيها الملاح ، إن من قدر لهم الغرق يغرقون فى سفنهم .

– إن التي حجبت جمالها عن كليم الله ، هى مبدعة الجمال وحاملة لواءه بين الحسناوات .

– وأمواج أنفاسهم يمكنها أن تضئ الشمع المنطفئ ، يا إلهي ، ماذا يضمر فى صدور أهل القلوب .

– لو تمنيت آلام القلب فاخدم الفقراء، فلن تجد هذا الجوهر في خزائن الملوك .

– ولا تسل عن أهل الباطن فسوف تراهم لو كانت لديك رغبة ، فأياديهم البيضاء قابعة فى أكمامهم .

– إن العين التي يشتاق إليها البصير ، هى زينة المحفل عند أهل الخلوة .

– فعليك أن تنفث مثل هذا الشرر فى محصول قلبك ، حتى تصبح شمس القيامة بين مـن يحصدون المحصول .

– وابحث عن قلب محطم من أجل الحب ، فهذه هي الخمر التي يضعونها فـي الأبـاريق الرقيقة .

– إن عاشق الجمال يصبح جميلاً مثلما الجمال ، فهل ترى أيها القلب جميلاً مثلـه بـين الحسان ؟

– لقد اضطرب الناس بسبب أدائك (ما عرفناك) [1] ، وبقيت منزلتك سامقة بـين جميـع مبدعى الحسن .
– اظهر لهم.. واعرض عليهم جمالك بين الفينة والأخرى ، فأنت معروف منذ فترة طويلة بين من يريدون رؤيتك .
– اصمت أيها القلب وسط المحفل المزدحم فالصياح ليس جديراً بك ، والأدب أول صـفة من صفات المحبة .
– هل أعتبرهم سيئون ؟ أنا لا أقدر على مثل هذا ؟ فأنا نفسي أيضاً – أنا إقبـال– أنتقـد نفسي .

(١٠)

– أنا أريد فى عشقك منتهاه ، فانظر إلى بساطتي ، وماذا أطلب ؟!
– إن الظلم أو الوعد بالسفور عندي يستويان ، فأنا أريد أى حديث لتجربة الصبر .
– اللهم بارك فى جنة الزهاد هذه ، فأنا أريدك أمامي .
– أنا قلب صغير جداً ، لكنه ماجن ، وأريد سماع قولك (لن تراني) [1] .
– يا أهل المحفل أنا ضيف لفترة قصيرة ، مثل مصباح السحر الذى قارب أن ينطفئ .
– إننى أفشيت السر فى هذا المجلس المزدحم،فأنا غير مؤدب واستحق العقاب .

(١١)

– لماذا لا يعتز العاشق بعجزه عندما يبسط يديه بالكرم والجود ذلك الذي لا يحتاج لأحد .
– أيها الواعظ لقد تم إجلاسك على العرش ، فمن ذلك الإله الذى يبتعد عن عباده ؟
– أيها الساقي ليس الخليع من وجهة نظرى ، الذى يميز بين اليقظة والسُكر .
– فلتبق أذناك تنصت إلى القلب دائماً ، إنه كالآلة الموسيقية عندما يتحطم تتولد منها أنغام الأسرار .
– لقد سأل شخص ما ماذا أصاب الواعظ ، فالواحد الصمد يرحم أيضـاً مـن لا يـؤدون أعمالهم .
– يا إلهي ! من أين تأتى الحرقة فى الحديث ، إنها تذيب الحجر .

---

[1] إشارة إلى الحديث : "لولاك ما عرفنا... " المترجم.

[1] إشارة إلى ما ورد في سورة الأعراف : آية ١٤٣ (المترجم) .

– إن بكاء البلبل كان بسبب التمييز بين الوردة وشقائق النعمان ، فأرجو ألا يفتح أحد عين التمييز .

– وقد علم الزهدُ الواعظ الغرور ، حتى تطاول لسانه على عباد الله .

– فليحملنى الهواء من الهند يا إقبال ، وليطيرنى غباراً على طريق الحجاز .

(١٢)

– إننى أقسو على قلبي وأغفل عن الآخرين ، نعم ما أحسن ما قلت فأنا ظالم وجاهل .

– لقد كنت موجوداً فى الوقت الذى لم تتجلى فيه،أنا الباطل الذي يزهقه الحق .

– لقد خرج الغواصون من بحر العلم والجواهر بأيديهم ، يا لحرمانى فأنا أجمع الخــزف على حافة الساحل .

– إن فى مذلتى بعض الدلائل على شرفي ، فأنا الغافل الذى ينتحب الناس على غفلته .

– فيا محفل الوجود لا تتيه بزينتك ، فأنا المحفل أما أنت فصورة من صور المحفل .

– أنا يا إقبال أبحث وأنقب عن ذاتي ، فأنا المنزل وأنت مثل المسافر .

(١٣)

– غادر المجنون المدينة فاترك أنت الصحراء ، ولو كان لديك شوق للرؤية فاترك ليلـــى كذلك .

– أيها الواعظ إن الإنسان ينال مراده فى كمال الزهد ، فلو تركت الدنيا اترك الآخرة أيضاً .

– وإذا سرت على التقاليد فالانتحار أفضل من ذلك ، فابحث عن الطريق واتــرك شــغف البحث عن الخضر .

– إن حرف الغير على لسانك مثل القلم ، فاترك الفخر بالشئ فى غير محله .

– فما هى المتعة الكامنة في الكلام ما لم يكن بالقلب ألم العشق ، ولو لم تكن جريحاً فاترك اضطراب القلب .

– ابك على الورود مثل الندى وغادر الحديقة ، تخلَّ عن رغبة البقاء فى الحديقة .

– إن من تقاليد العشق أن تجلس فى عزلة عن الجميع ، وأن تهجر المعبد والحرم والكنيسة أيضاً .

– فهذه ليست تجارة وإنما هي عبادة الله ، فدع عنك أيها الغافل تمني الجزاء .

- من الأفضل أن يكون حارس العقل ملازماً للقلب ، لكن يجب أن يتركه وحيداً بين الحين والآخر .
- فلو كان مركز الحياة ذات الغير ، فاترك الاعتماد على الشهرة فى هذه الحياة أيضاً .
- أيها الكليم إن السخرية واضحة فى تكرار السؤال ، إن من شروط الرضـــا أن تتـــرك الرضا أيضاً .
- إذا أتى الواعظ بإثبات أن الخمر حلال ، فإقبال سيعارض ويترك شرب الخمر أيضاً .

الجـــزء الثانـــى
من عام ١٩٠٥م إلى عام ١٩٠٨ م

المحبـــة

– كانت ضفائر عروس الليل لا تعرف الالتواء حتى الآن ، ونجوم السماء لا تعرف شيئاً عن لذة الراحة .

– وكان القمر يجلس فى لباسه الجديد يبدو كأنه غريب ، كأنه لم يقف على قوانين الدوران قط .

– وكانت الدنيا قد بزغت من حجرة ظلمة الإمكان ، وكان مذاق الحياة مختفياً عن العـــالم الرحب .

– وكان كمال نسق الحياة كأنه بدأ حالاً ، حين كانت الرغبة فى وجود الفص فـــى عـــين الخاتم .

– ويُحكى أن كيميائياً فى العالم العلوي،كان تراب قدميه أنقى من كأس جمشيد .

– وكانت هناك وصفة إكسير مكتوبة على قاعدة العرش ، كانت الملائكة تخفيها عن عين روح آدم .

– إلا أن عيون الكيميائي كانت تبحث عنها باستمرار ، كان يريد أن يعرف هذه الوصـــفة أكثر من معرفته للاسم الأعظم .

– وذات مرة توجه ناحية العرش بحجة التسبيح ، وفى النهاية تحققت رغبة قلبـــه بســـبب السعى المتواصل .

– وجال الخاطر حول الوصفة فى ميدان الإمكان ، وهل يختفى شئ عن محرم بلاط الحق .

– فاستعار الضياء من النجوم والتمس حرقة الكبد من القمر ، وسرق قليلاً من ظلام جديلة الليل الغاضبة .

– ووجد الاضطراب من الصواعق واستمد الطهر من الحور ، وأخذ الحرارة من أنفـــاس المسيح بن مريم .

– واستجدى شيئاً من شأن استغناء الربوبية ، ونال التواضع من الملائكة والخضوع مـــن الندى .

– ثم خلط هذه الأدوية كلها بماء عين الحياة ، ونالت هذه التركيبة اسم المحبة من العـــرش الأعظم .

– ثم رش هذا المجنون هذا الماء على الحياة الناشئة ، وكأنه حل بحكمته شئون العالم .
– فظهرت الحركة عياناً وتركت الذرات لذة النوم ، ونهضت وعانقت رفاقها .
– فوجدت النجوم والشموس فى حالة نشوة وتبختر ، وتفتحت البراعم وأصـــابت شـــقائق النعمان وسمة .

حقيقـــــة الحســـن

– سأل الحسن الله ذات يوم ، لماذا لم تجعلنى سرمديا في الدنيا ؟
– فأجابه أن الدنيا مرسم كبير ، والدنيا أسطورة ليلة العدم الطويلة .
– ولأن ظهورها كان من سمات التغير ، فالحسن فى حقيقته إلى زوال .
– فسمع القمر هذا الحوار ، وكان فى مكان قريب ، فنشر الخبر فى الأفلاك ، وسمعه نجم السحر .
– وبعد أن سمع نجم السحر هذا الحوار من النجوم أبلغه للندى ، الذى أخبر كـــلام الفلـــك لمحرم أسرار الأرض .
– اغرورقت الورود بالدموع من رسالة الندى ، ودمى قلب البرعم الصغير من الغم .
– وذهب موسم الربيع منتحباً من الروضة ، ورحل الشباب الذين جاءوا للتنزه مهمومين .

رسالــــــة

– لقد علمك العشق مذاق حرارته ، فلتمنح الحفلة الحرقة والنغمة مثل شمع المجلس .
– إن عظمة الكرم هى فى حل عقدة دائرة العشق ، فما قيمة الدير والحرم لمن ليس بحاجة إليها .
– إنه لم يجد عباءة من النور مثل الشمع ، ولم يهبه الله فى الدهر البكاء المضنى للروح .
– العشق فى النجوم ، وفى القمر ، وفى جلوة السحر ، فلا تكحل العين المبصرة بكحـــل التميز .
– والعشق أسمى من العادات والرسوم والعوز لو كان الجمال فى نشوة الدلال فأجبه بالرد بدلال أيضاً .
– إن خمر شيخ حانة الغرب تثير النشوة والسرور ، لكنها غير موجودة فى حالة الحزم ، فأعطني خمر بلادي .
– ألا تدري أن المجلس القديم قد تغير ؟ فبالله عليك لا تقدم لهم خمر المجاز الآن .

سوامى رام تيرته [١]

– أيتها القطرة المضطربة فى أحضان البحر ، لقد كنت فى البداية جوهرة وصــرت الآن جوهرة نادرة .

– آه ! بأى طريقة كشفت أسرار اللون والرائحة ، فأنا حتى الآن أسير للتفرقة بين اللــون والرائحة .

– عندما محيت غوغاء الحياة تحولت إلى ضوضاء المحشر ، وعندما انطفأت هذه الشرارة تحولت إلى معبد نار آزر .

– إن التنكر للحياة هو معجزة القلب العالم ، ففى بحر " لا " تكمن لؤلؤة " إلا الله " .

– إن معنى العاقبة مختف عن العين غير المبصرة ، وعندما يفقد الزئبق خاصية الحركــة يتحول إلى فضة خام .

– كما أن العشق الإبراهيمى يحطم صنم الحياة ، فإن علاج العقل في جنون العشق القديم .

إلى طلاب كلية عليكره

– للأغيار رسالة ولي رسالة مختلفة ، كما أن لألم العشق طريقة كلام مختلفة .

– لقد سمعتم استغاثة الطائر داخل الشرك ، فاستمعوا أيضاً إلى نواح الطائر الطليق فهــو مختلف .

– ينبعث صوت من الجبل بأن سر الحياة فى السكون ، وتقول النملة الضــعيفة إن متعــة الحركة شئ آخر .

– إن رونق مجلس الحجاز من جاذبية الحرم ، لهذا فمقامه مختلف ونظامه مختلف .

– الموت هو الحياة السرمدية لو لم يكن هناك ذوق الطلب ، فسعي الإنسان شــئ ودوران الكأس شئ آخر .

– قال شمع السحر إن الحرقة هى نغمة الحياة ، فالظهور فى بيت الحــزن شــرط آخــر للاستمرار .

– فلا تزال الخمر غير معتقة ، ولا يزال الشوق غير صادق ، فلتتركوا لبنة الكنيسة على فوهة الدن .

---

(١) اسمه الأصلي تيرته رام ولد في إحدى قرى مركز كوجرانواله سنة ١٨٧٣م نشأ فقيرا واكمل تعليمه الكلية التتصيرية في لاهور ومات غرقا سنة ١٩٠٦م

نجـــم الصبـــــاح

- كان نجم الصباح يبكي ويقول : وجدت البصيرة ولم أجد الفرصة للنظر .
- لقد منح نفس الشمس الحياة لكل كائن ، وأنا لم أجد الأمان فى كنف السحر .
- فما هى مقدرة نجم الصباح ، إنه فقاعات ، وهم مثل لمعان الشرر الحُباب .
- قلت يا زينة جبين السحر ، لو أنك حزين على الفناء ، فاهبط من قبة الفلك .
- فتقطر من علياء الفلك بصحبة الندى ، لأن فضاء رياض شعري منعش للروح .
- أنا حارس لهذه الحديقة ، فالمحبة ربيعها ، وبناؤها ثابت مثل الأبد .

الحســـــن والعشـــــــق

- مثلما تغرق سفينة القمر الفضية ، فى طوفان نور الشمس عند السحر .
- ومثلما تتلاشى زهرة النيلوفر فى خمار النور المصاحب لضوء القمر فى ليلة مقمرة .
- ومثلما تختفي يد الكليم البيضاء فى تجلي الطور ، وكما يكمن شذى البراعم فى موجـــة أريج الحديقة .
- فهكذا يكون قلبي في سبيل محبتك .
- أنتِ المحفل وأنا صخب المحفل ، أنتِ صاعقة الحسن وأنا نتيجة العشق .
- أنتِ السحر ودموعي نداك ، ولو كنت ليل الغربة فأنتِ شفقى .
- إن جدائلك مضطربة فى قلبي ، وصورتك تظهر فى حيرتي .
- أنتِ الحسن الكامل وأنا العشق الكامل .
- أنتِ رياح الربيع لحديقة شعري ، وقد منحت الاستقرار لخيالي القلق .
- عندما عمَّر عشقك صدري ، ظهرت جوهرة جديدة فى مرآتي .
- إن فطرة العشق تحرك كمال الحسن ، وقد اخضرت أغصان آمالي بك .
- ولقد وصلت قافلتي للمنزل المنشود .

بعد أن شاهد القطة فى حضـــن ...

- من الذى علمك سرقة النظر هذا ؟ ومن ذا الذى أخبرك برمز بداية المحبة ؟

– وكيف يبدو الحب فى كل حركة من حركاتك ؟ وكيـف يتقطـر الـذكاء مـن عينيـك الزرقاوتين ؟

– تنظرين إليها أحياناً ، وتخجلين منها أحياناً أخرى ، تنهضين أحياناً وتتمددين نائمة أحياناً أخرى .

– هل عيونك تحمل صفة المرآة الحائرة ، وهل علم ضياؤك بنور المعرفة .

– أنت تضربينها بمخالبك فيا لعجب هذا الدلال ، هل أنتِ متضايقة أم ملتاعة أم هذا مـن أنواع الحب .

– فإذا صرت مجنونة فسترفعك من حجرها ، ولو سقطت الوردة التـي علـى صـدرها فستضر بك .

– لما تجسسك هذا وما هي أمنيتك ؟ واأسفاه هل أنتِ كذلك مغرمة بهذا الأمر .

– إن الإحساس ليس حكراً على الإنسان فحسب ، فهو صورة القلب الكامنة فى باطن كـل شئ .

– فالعشق كالخمر المعتقة فى دن الدهر ، فهو روح الشمس والدم فى عروق القمر .

– ووخزه مختفٍ في كل ذرة من ذرات القلب ، ونوره يتجلى فى كل شئ .

تراه فى مكان متاعاً للسرور ، وتراه فى آخر نغمة حزن ، وهو فى مكان ما جوهر وفـى مكان آخر دموع ، وتراه ندى فى مكان ثالث .

البرعـــــم

– عندما يكشف السحر وجهه متعدد الألوان ، ويفتح البرعم صدره الذهبى .

– فهو يتجلى فى خمارة الصباح ، وحياته فى كأس الشمس .

– ويشق قلبه ويضعه أمام الشمس ، كم يلتذ عندما يشق صدرك .

– يا شمسى ، ارفعى نقابك مرة ، إن النظرة القلقة تزداد اضطراباً من النظر .

– إن مسكن جلوتك فى صدري ، فلتُبقي صورتك منعكسة فى مرآتى .

– النظر إليك هو حياة قلبي ، ونورك هو مهد فؤادي .

– ولتكن كل ذرة من ذراتي فرحة ممتزجة بالحياة ، ولتبدو حرقة الحياة فى جوهر التفكير عياناً مرة أخرى .

– أنظر إلى شمسي من بعيد ، أعانق نورها أيضاً مثل البرعم .

- أكشف عن حقيقة الروح المضطربة ، وعن الأفكار المختفية فى القلب .

القمـــــــر والنجـــــــوم

– بدأت النجوم الحديث مع القمر قائلة : نخاف ونرتعد من أنفاس السحر .
– وقد ظلت المشاهد كما هى على الفلك ، لقد أنهكنا اللمعان والبريق .
– التجوال هو عملنا ليلاً ونهاراً ، التجوال والتجوال المستمر .
– كل شئ فى هذه الدنيا لا يقر له قرار ، ولا يوجد ما يطلق عليه سكون .
– الجميع يتحمل مشاق السفر ، النجوم والإنسان والشجر والحجر وكل شئ .
– فربما ينتهى هذا السفر ذات يوم ، ويقع النظر على المنزل المقصود وكل شئ .
– بدأ القمر الحديث قائلاً : يا زملائي ، يا قاطفي سنابل مزارع الليل .
– إن حياة العالم فى الحركة ، وهذه العادة قديمة هنا .
– إن حصان الدهر الأشهب يعدو ، تحت وقع ضربات سوط الطلب .
– والوقوف فى هذا المكان فى غير محله ، فالأجل كامن فى السكون .
– وقد خرج السائرون ، وأما الذين تريثوا قليلاً فقد داستهم الأقدام .
– إن الحسن هو نهاية هذه الحركة وهذا الدلال ، البداية هى العشق والنهاية هى الحسن .

الوصـــــال

– أيها البلبل إن الوردة التي أرهقني البحث عنها ، التقيت بها فى النهاية لحسن حظي .
– لقد كنت أنا نفسي مضطرباً ، وجعلت أهل الروضة يضطربون كذلك ، وكنت أخجـل عندما ألتمس صوتك العذب .
– لم يكن بين جوانحي قلب خفاق بل كان زئبقاً رجراجاً ، لقد كان مضطرباً من ارتكـاب جريمة الحب .
– لقد كان فشلي مشهوراً بين محفل الورود،وكان صباحي مرآة الليل الدامس .
– كان فى صدري المكلوم نفس كالمبضع،وغوغاء الحشر كامنة في الصمت .
– الآن ليس هناك أى قلق فى عالم التأثر ، وإنشادي للغزل ليس ثقيلاً على أهل الروضة .
– صارت حروقي لهيباً من حرارة العشق،وتلعب الآن دموعي مع الصواعق .
– وصار هذا التراب الأسود كالمرآة بسبب مسحوق الحب ، وانعكست في المرآة صـورة الرفيق القديم .
– لقد حصلت على حريتي عندما دخلت السجن ، وصارت سرقة القلب هي عمران بيتي .
– إن نجمي براق من ضوء هذه الشمس،وضوء القمر يخجل من غبار طريقه .
– نظرت إلىّ نظرة وعلمتِني آداب الفناء ، ما أسعد ذلك اليوم الذى اشتعلت فيه نار شعرى .

سليمـــــــى [1]

– إن العين التى ترى النجوم يمكنها أن ترى ظهوره في الشمس والقمر ومجلس النجوم .
– إنه هو الذى عثر عليه الصوفي في ظلمة القلب ، ورآه الشاعر فى جمال القدرة .
– إن بريقه ظاهر وعطره يتضوع ، وهو في لآلئ الندى وقميص الورود .
– هو الذى عمر الصحراء بعد أن كانت صامتة ، وهو الذى أحدث ضجيجاً وصخباً فـــي الحديقة .
– إن الجمال ظاهر فى كل شئ ، أما أنت يا سليمى فإن حسنك فى عينيك .

عاشــــــق الآفــــــاق

(١)

– عجباً يا إقبال إنك مجموعة من الأضداد ، أنت رونق محفل الصخب وأنت منطوٍ أيضاً .
– أنت بهاء الروضة وزينة الصحراء ، أيها المجنون صاحب الصوت المتنوع الضجيج .
– أنت بسمو طيرانك صرت جليساً للنجوم ، تـــدوس برجلـــك علـــى الأرض وتطـــوي السماوات بالأقدام .
– جبينك منهمك فى السجود وبينما تنتشي بالخمر ! ولو أن لون مشربك ظاهر فى مسلكك .
– أنت كأريج الوردة عار من لباس اللون ، أنت مبدع الحكمة لكنك مجنون كذلك .
– أنت مثل الموج الجاري لا أثر لأقدامك على الدرب ، أنت منهك القوى ومتهالك مثـــل ساحل البحر .
– وحسن النساء كالبرق لطبيعتك ، والمدهش فى هذا الأمر أن عشقك مستغنٍ عن الجميع .
– إن وجودك كله يرتكز على قانون التفنن ، فهل أحنيت جبينك على عتبة واحدة ؟!
– تلقبت بين الحسان بالعاشق عديم الوفاء ، أيها المتقلب أنت مشـــهور أيضـــاً بـــالخزي والخذلان .
– تعودت أن تكون فى الدنيا مثل الزئبق ، أنا فداء لاضطرابك فما أعجب اضطرابك !

---

(١) يريد الشاعر أن يقول بأنه لا يوجد شيء في الدنيا يضارع جمال عيون المحبوب (المترجم)

– إن مثل هذه القبضة الترابية التى أخفيها تحت قبائي ، قد حولت حيـرة العشـق إلـى صحراء .

– لها آلاف الجوانب ولكل جانب لون مختلف ، وكأننى أضع فى صدري قطعـة مـاس مصقولة .

– ليس هذا بقلب شاعر بل ميدان تتنافس فيه الرغبات ، فكيف أخبرك بما أضـمره فـى صدري .

– إن أمنية كل رغبة هى تجلٍّ جديد ، أنا لا يقر لى قرار ولا يعرف قلبى السكون .

– مع أن مقصد النظر فى كل لحظة هو رؤية حسناء جديدة ، فإن عهـدى مـع الوفـاء بالحسن قوى متين .

– لقد جبلت فطرتي على العجز منذ القدم ، وعندي حرقة البحث ومعاناته مثل الصبا .

– لا يمكن للسكون أن يمنحني مشهد الشرر المتنافر ، والقلب عليم بالبرق .

– الصمت من مقتضيات طبيعة العشق ، آه ! إنه يدعي التجلي الكامل .

– وبحثى عن الكل يجعلنى التفت إلى الأجزاء ، والحسن بلا نهاية وأنا مصاب بداء عضال لا دواء له .

– حياتى ما هى إلا مآل الحب المؤلم ، لقد حررت العشق من قانون الوفاء .

– فلو سألتم صدقاً عن الوفاء أقول إنه إفلاس الخيال ، وأقوم بحشر جديد فى القلـب كـل لحظة .

– إن سخاء الساقي يشبه الندى وسماحة القلب تتسع للبحر ، أنا فى عطـش دائـم فالنـار تضطرم تحت أقدامى .

– عندما أبدعتني خلقتني ناقداً لك ، فأنا كالرسم أضجر بالشكوى من الذى صورني .

– عندما تجلى الحسن هكذا كنت فى محفل الحياة ، فلماذا أمتلك هذا الخيال اللانهائي .

– نحن فى سعي دائم في صحراء الطلب ، كأمواج البحر وانكسار أنفاسنا على أكتافنا .

السعـــــى الناقــــص

– الصبح يعتصره الاضطراب من فراق الشمس ، وعين الشفق تنثر الدم من أجـل نجـم المساء .

– وقيس النهار مجنون ليلى المساء باستمرار ، ونجم الصباح مضطرب من أجل اللمعـان المستمر .

– ويقول قطب السماء لقافلة النجوم ، يا رفاق! لقد خشيت من لذة الحركة .
– العيون لها شوق للأنهار ، والأنهار تعشق البحار ، فحرارة البدر من أجل موج البحر .
– تقولون إن الحسن الأزلي الكامن تحت حجاب الورود وشقائق النعمان ، لا يقر له قرار من أجل التجلي .
– فلتسأل الخضر المبارك عن سر الحياة ، لأن حياة كل شئ مرتبطة بالسعي الناقص .

لحـــــن الأســـــى

– إن حياتى كربابة صامتة ، يفيض حضنها بكل لون من ألوان النغم .
– فأنا فداء صمت قيثارة الكون والمكان ، التى يحتوي كل وتر فيها على مزار يضم آلاف الأنغام .
– وسكوتها أمينٌ لمحشر الأصوات ، ولم يكن صمتها فى حاجة إلى صخبها .
– آه ! إن أمنية الحب لم تصبح حقيقة ولو لمرة ، وهذه الآلة الموسيقية لم تذق ضـــربات المضراب .
– لكن النسيم يأتى أحياناً من روضة الطور ، وتأتى أحياناً أخرى أنفاس الحور من ناحية الفلك .
– فتداعب وتر حياتى بهدوء ، وقد تحررت منها روح الحياة الأسيرة .
– وينبعث صوت خافت لنغمة اليأس ، وترتفع صلصلة لجرس قافلة العبرات .
– وهكذا فإن سمو الندى يكون من سكون اللذة ، وسمو فطرتى نابع من لحن الأسى .

مسايـــــرة الزمـــــن

– لا تقل لى إن الموت هو رسالة الحياة والسرور ، ولا تصور لى حالة الشراب الطهور .
– ولا تركن حزناً على فراق الحور ، ولا ترفع عن الحورية زجاج الكلمات .
– ولا تجعلني مفتوناً بالساقي الجميل ، ولا تصف الحور ولا تذكر السلسبيل .
– لا أقول إن الجنة هى مكان الراحة ، إن رسالتك غير مناسبة للشباب .
– آه على الشباب يا من تمتلئ قلوبهم بالأماني ! المتعة لا تكون متعة للذين ينتظرونها .
– ما الحسن الذى يحتاج إلى عين مبصرة ، ويكون رهن منة الغد فى ظهوره .
- إن الإحساس بالحياة لشئ عجيب ، فالشباب يؤمن بـ "مسايرة الزمن" .

الإنســـــــان

- هذا ظلم الطبيعة العجيبة .
- لأنها جعلت الإنسان باحثاً عن الأسرار ، وأخفت سره عن الأعين .
- إنه قلق من أجل تذوق المعرفة ، لكن كنه الحياة لا يتكشف له .
- الحيرة هى البداية والنهاية ، فهل هناك جديد فى بيت المرايا .
- إن موج النهر يتدفق بسرعة ، والنهر يطوى الطريق نحو البحر .
- والهواء يطير السحاب ، ويرفعه على أكتافه .
- والنجوم سكرى من خمر التقدير،فأقدامها مغللة بالسلاسل فى سجون السماء .
- والشمس عابدة للسحر ، حاملة رسالة "انهضوا" .
- تتخفى وراء جبال المغرب ، وتحتسي الخمر في كأس الشفق .
- إن متعة الوجود فى كل شئ ، ونشوة خمر الظهور فى كل شئ .
- لا أحد يشاطر الإنسان أحزانه ، ما أتعس أيام الإنسان .

جلـــــــوة الحســـــــن

- جلوة الحسن تجعل الأمنية قلقة ، وهى التى ترعى الشباب فى كنف الخيال .
- وهى التى تهب الأبدية لهذا العالم الفاني ، وبسببها يصير الإنسان أسطورة رائعة .
- وهى التى تعلمنا منها قدح زناد الفكر ، والهروب من مشهد العالم الحاضر .
- وهى التى تبعد البساطة من الإدراك ، وتجعل العقل فى عبودية التأثير .
- آه ! ألا يوجد هذا الحسن فى مكان ما ، يا إلهي هل ذلك الفص موجود فى خاتم الـدهر أم لا ؟

ذات مســـــاء

(على شاطئ نهر نيكر فى مدينة هايدل برج)

- ضوء القمر معتم ، وأغصان الأشجار ساكنة بلا حراك .
- وطيور الوادي المغردة صامتة ، وقمة الجبل الصامتة مكسوة بالخضرة .
- فقدت الطبيعة وعيها ، ونامت فى حضن الليل .
- ولف سحر الصمت المكان ، وتحولت حركة نهر نيكر إلى السكون .
- وقافلة النجوم صامتة ، وهذه القافلة ماضية بلا جرس .
- الجبل والوادي والنهر جميعاً فى صمت ، والقدرة كأنها فى حالة مراقبة .
- اهدأ أيها القلب أنت أيضاً ، ونم واحتضن الغم .

الوحـــــــــدة

– لماذا أنت حزين في وحدة الليل ، أليست النجوم برفقتك ؟
– السمو لهذه السماء الصامتة ، والأرض خاملة والدنيا ساكنة .
– هذا القمر وهذه الصحراء وهذا الوادى ، الطبيعة كلها حديقة ورود .
– وهذه اللآلئ لطيفة ومحببة ، أقصد بهذا نجوم دموعك .
– لأى شئ تهفو أيها القلب ؟ فالقدرة مشاركة لأنفاسك أيها القلب .

رســـالـــــة الحـــب

– أنصت يا طالب ألم القلب ، أنا الدلال فلتكن أنت الحاجة ، وأنا الغزنوى لسومنات القلب [1] فلتكن أنت إياز .
– الكمال تحت هذا الفلك غير مرتبط بعظمة الإسكندر ، جميع المتاع فى صدرك فلتكن من صانعي المرآة .
– إن الغرض من صراع الحياة هو اكتمال هلالك ، أنت فرض قديم للدنيا فلتؤده كالصلاة .
– لا تكن القناعة شعار قاطف الورد لأن شأنك قائم على مثل هذا ، لو كان الورد بـــوفرة فى الحديقة ، فلتطل طرف ثوبك .
– انقضت تلك الأيام والآن ليس هناك وقت للمتجولين في الصحراء ، فلتذب فى هذه الدنيا مثل الشمع المحترق فى المحفل .
– إن وجود الأفراد وجود مجازي بينما حياة الأمة حياة حقيقية ، فلـــتكن فـــداءً للـــدين ، ومشعلا لنار طلسم المجاز .
– يا إقبال إن أهل الفرقة فى الهند يؤدون عمل آذر ، فَلْتَنأ بطرفك عن الأصنام ، ولـــتكن غبار طريق الحجاز .

الفـــــــــراق

– أنا أطوف باحثاً عن زاوية العزلة ، أتيت إلى هنا واختفيت فى سفح الجبل .
– إن كمال جاذبية العيون في الأغانى المتكسرة،مثل دعاء طفل يجرب النطق .

---

[1] إشارة إلى السلطان محمود الغزنوى الذى فتح المعبد وحطم صنم سومنات (المترجم).

– ونجم المساء جلس على عرش الشفق الأحمر ، ومشهد جمال المساء هو جنـــة العـــين المبصرة .
– إن سكون ليل الفراق مجرد حيلة لي ، فقد علمتني ذكرى أحدهم الترنم والغناء .
– هذه هي حالة روحي غير الصابرة ، ومثلي كمثل طفل صغير وحيد .
– إن من يبدأ الغناء فى الليل البهيم ، يدرك أن صداه صوت الغير .
– وأنا هكذا أمنح القلب رسالة الصبر ، وكأننى أخدع ليل الفراق .

إلـــى عبـــد القـــادر (١)

– انهض فقد عم الظلام فى أفق الشرق ، ولتنر المحفل بالغناء الصاخب .
– لا أملك إلا صرخة مثل حبة السبند (السوداء) ، فلتزلزل المحفل بهذا الضجيج .
– ولنعرض على أهل المحفل أثر نقاء العشق ، ولنجعل من حجر اليوم مرآة الغد .
– ولنجعل دم زليخا أكثر حرارة بعد أن نعرض عليهم جلوة يوسف.
– ولنصنع من قطرات الندى الصغيرة بحراً حتى نلقن هذه الروضة درس قانون النمو.
– ولنحمل عدة الروح من معبد الصين ، وليفقد الجميع وعيه بسبب وجه سُعدى وسليمى .
– انظر إلى ناقة ليلى فقد صارت بلا عمل فى يثرب ، ولنطلع قيس على الأمنيات الجديدة .
– ولتكن الخمر معتقة حارة ومؤثرة ولنجعل منها فيه كبد الكأس والمكيال والإبريق .
– كانت الخمر تدفئنا في برودة الغرب ، فلنشق الصدر ونجعله رهناً للمشاهدة .
– ولنكن كالشمع في جبين مجلس العالم ، ولنحرق أنفسنا ونهب الرؤية لعيون الآخرين .
– وكل ما يمر على القلب يكون وقفاً للسانه ، فالاحتراق الكامن من الشمع ليس خيالاً .

جزيـــرة صقليـــــــة

– ابك يا عيني الدامية بكاءً حاراً من سويداء القلب الآن ، هنا يتـــراءى للنـــاظر مثـــوى الحضارة الحجازية .
– فقد كان هنا ذات يوم ضجيج قاطني الصحراء ، الذين كان البحر ملعباً لسفنهم فى زمن ما .
– كانوا قد زلزلوا بلاط الملوك ، وكان البرق يعشش فى سيوفهم .
– كان ظهورهم رسالة جديدة للحياة ، فقد سيطرت سيوفهم على الزمن القديم .

---

(١) كتب إقبال هذه الأبيات سنة ١٩٠٨م لصديقه ومعلمه الشيخ عبد القادر الذي كان يقيم معه في لندن سنة ١٩٠٧م

- أحيوا العالم بقولهم "قم" وحرروا الإنسان من أغلال الوهم .
- تستمتع الأسماع بصيحاتهم حتى الآن ، فهل صمت تكبيرهم يا ترى إلى الأبد ؟!
- آه يا صقلية ! إن كرامة البحر تنبع منك ، أنت المرشد فى صحراء الماء هذه .
- وجمال خد البحر من خالك ، فلتمنح شموعك الأمان لمن يبحرون .
- وليكن مشهدك لطيف دائماً فى أعين المسافرين ، ولتتراقص الأمواج باستمرار على صخور ساحلك .
- لقد كنت فى عصر من العصور مهداً لحضارة هؤلاء القوم ، وكان حرارة منظرها محرقاً لعالم الجمال .
- لقد بكى بلبل شيراز [1]على بغداد ،وبكى داغ [2] دماً على مدينة جهان آباد .
- وعندما دمرت السماء دولة غرناطة ، صرخ عليها قلب ابن بدرون المحطم (المهموم) [3] .
- إن البكاء عليك منح إقبالاً نصيباً من الحزن ، وكأن القدرة قد تخيرت لك القلب العارف بأسرارك .
- ما القصة الخفية فى آثارك ؟ إن أسلوب بيانك كامن فى صمت سواحلك .
- احك لي معاناتك فأنا أيضاً مستودع للألم ، أنا غبار تلك القافلة وأنت كنت منزلها .
- لوني الصورة القديمة ثم اعرضيها عليَّ ، وامنحيني الاضطراب وقصي عليَّ قصة الأيام السالفة .
- سأرجع بهديتك هذه إلى الهند ، أنا نفسي أبكي هنا ، وسأُبكي الآخرين هناك [4] .

غزليات

(١)

- إن حياة الإنسان ليست إلا نفساً واحداً فحسب ، وهذا النفس ليس إلا نسمة هواء عابرة .
- كان الورد يقول إن الابتسامة هي الحياة ، لكن الشمع قال : إنها ليست إلا بكاء الغم .
- إن سر الحياة يكون سراً ما دام ليس هناك محرماً ، وفى اللحظة التى يغشى فها السر لا يظل إلا المحرم .

---

[1] إشارة إلى سعدى الشيرازى .

[2] إشارة شاعر الأردية داغ .

(٣) الذي كتب في رثاء الأندلس (المترجم)

[4] ترجم الصاوى شعلان هذه المنظومة إلى العربية شعراً فى كتابه "ديوان إقبال" (المترجم)

– فلتسأل أحد زوار الكعبة يا إقبال ، أليس فى الحرم هدية سوى ماء زمزم ؟

(٢)

– يا إلهى لقن العقل المبارك قليلاً من الجنون ، فلديه هوس الحياكة وليس لي رغبة ارتداء القميص .

– عندما وجدت حرارة المحبة ، قالت الملائكة للصبح الأزلي : أنت مثل شـمع المـزار وليس لك أي مجلس .

– أيها القلب أين الرفاق هنا فى هذه الأرض الغريبة ، إن ما تطلبه منى غير موجود تحت هذا الفلك القديم .

– لقد بنى العربي المؤسس هذا البناء الفريد الذي لا مثيل له فى جميع أنحاء العـالم ، إن بناء سور ملتنا لا يقوم على اتحاد الوطن .

– أين القادمون وأين الذاهبون إن امتياز الآخرة خداع ، فظهورنا في كل شئ ، ولا وطن لنا .

– يا إقبال! ليخبر أحد رسالتي هذه لمدير مجلة "مخزن" [١] إن الأمم التى تقـوم بـبعض الأعمال قد لا تكون لديها مقدرة على تذوق الشعر .

(٣)

– سوف يرى الزمان عندما تتفجر ثورة الكلام فى قلبي ، وصمتي هذا ليس إلا ضـريحاً لحروف الأماني .

– بدأ موج البحر يقول : إن عظمتي قائمة على السفر ، وقالت اللؤلؤة إن متاع كرامتـي وكبريائي هو الحياة فى الصدف .

– لا تهذب التربية من طباع من كانت طبيعتهم غير جديرة ، فليس كل ما علـى شـاطئ النهر يورق ويخضر كالسرو .

– لم أر قلباً إلا وفيه الأماني النائمة ،يا إلهي ما عالمك هذا إلا مرسماً للأمانى .

– اتضح بعد الموت أن حياتى كانت طلسماً للرغبة ، وما كنا نعتبره جسماً ترابيـاً كـان غباراً لأمنية ما .

– لماذا أبحث لو لم يكن هناك شئ خفي ؟ فالعيون تتمنى الرؤية والقلب لديه جنون البحث .

---

(١) المجلة الأردية الشهيرة ومديرها هو شيخ عبدالقادر الذي أسسها في لاهور سنة ١٩٠١م (المترجم)

– كان البرعم يقول لقاطفي الورد في الحديقة ، لماذا يكون الإنسان بهذا الجفاء إلى هــذا الحد ؟

– والابتسامة من وجهة نظرك هى تحطيم إبريقي .

– وجلوة الحب ظاهرة فى كل ذرة من ذرات رياض الوجود ، لو أدركت حقيقة الــوردة عرفت أنها عهد بين اللون والشذى .

– إن جميع موضوعاتي قديمة وشعري كله خطأ ، ولو أن أحداً يلتمس الفضل فـــىَّ فـــإن العيب يكون عيبي .

– الشكر شرط من شروط الأدب وإلا فإن كرمك يفوق ظلمك ، وقد منحتني قلباً صـــغيراً هو أيضاً مخدوع الأماني .

– كمال الوحدة عيان ولو استعملت المشرط ، فمن المؤكد أن قطرات دم الإنسان ســوف تسقط من شرايين الوردة .

– لقد انقضى عهد التقليد وحمل المجاز أمتعة السفر ، وعندما تكتشف الحقيقة فمن ذا الذى يمكنه التحدث بها .

– يا إقبال عندما أكون بعيداً عن بيتي فلا تغضب أصدقائي ، إن شرفي مثل اللؤلؤ فذروة كماله فى فراق الوطن .

(٤)

– إن لمعانك عيان فى البرق والنار والشرر ، ونورك متجلٍ فى النجوم والشمس والقمر .

– وعلوك فى السماوات وانخفاضك فى الأرض ، ونقاؤك فىٍ البحر وتواضعك فى الشاطئ .

– فكيف تتشبث الشريعة بمجامع ثوب ذوق الشعر ، وأنا أخفي رغبات قلبي في الاستعارة .

– إن ما هو يقظ فى الإنسان إنما هو يغط فى نوم عميق ، وهو كامن في الشجر والزهور والحيوان والحجر والنجوم .

– لقد وسمتنى حرقة قطرات دموع الحب بحرارتها ، وكانت نار الغضب في قطرات الماء كالشرر .

– لا يوجد عندي أمنية من جنس ثواب الآخرة ، فأنا ذلك التاجر الذى يرى المكسب فـــى الخسارة .

- متاع الحياة بالنسبة له فى عدم معرفة السكون ، اضطراب قلب من هذا -يا إلهي- الكامن في الزئبق الرجراج.
- أنا صامت - يا إقبال - بعد أن سمعت صوت "لن ترانى" فلا يوجد عند من أنهك الفراق قواه مقدرة على السؤال .

(٥)

- يا محفل الدنيا إن ضجيجك كان جذاباً ، وبالرغم من هذا كان في مشاهدك قليل من الحزن .
- تمتع ذلك الترابي بالهدوء في حب إنسان ، و قد كان شريداً في صحروات الحكمة منذ زمن بعيد .
- يا أيتها الصهباء إلى أي مدى تحبين رسم الحجاب ، فقد خرجت من حجاب العنب إلى الدنان .
- ولم يستطع العلم التغلب على تأثير الحسن ، ومثل هذا الجهل كان شائعاً بين علماء العالم.
- وأنا يا إقبال قد بحثت في أوربا عبثاً ، عن السر الذي كان في حسنا وآت الهند .

(٦)

- نطوف في الكأس مثل ما تدور الخمر فيه ، وهذه الصلاة نؤديها في الصباح وفى المساء .
- أيها الكليم ليس هناك أي خصوصية ، فالشجر والحجر أيضاً يتناجون مع الله .
- أيتها الشمعة تبحثين هنا عن عالم جديد الآن ، فنحن نتحمل ظلم الحرقة غير الكاملة فى هذه الدنيا .
- إن الصمت أيها الرفاق محبب في هذه الروضة ، فهم يوقعون في الشرك كل من له صوت عذب .
- إن من ينشدون اللهو وشرب الخمر ، يحرمون الشيء الحلال .
- أيها الواعظ كيف تكون موفقاً معنا ، ونحن ننشر بين الجميع تقاليد الحب .
- يا إلهي أي سحر في هؤلاء الشيوخ الذين يرتدون الخرقة ، إنهم يسخرون الشباب بنظرة واحدة .

- إن فرائسي ترتعد من محفل طربهم ، لأنهم ينالون الشهرة في الدنيا من حذق منازلهم .
- فلتبق خضراء أيتها الروابي يا ميدان معقل المازينى [1] ، إننا نلقي عليكم السلام من على ظهر السفينة .
- يا إقبال ! عندما يصلى تاركو الصلاة ، يدعونني من الدير فيجعلوني إماماً لهم .

مـــارس ١٩٠٧م

- جاء عصر السفور وستصبح رؤية الحبيب متاحة للعامة ، وسينكشف السر الذى كان السكوت حجاباً له .
- أيها الساقى لقد انقضى ذلك العهد الذى كان شاربو الخمر يعاقرونها فى السر ، وصار العالم بأسره حانة لكل الناس .
- وسيزحف خلعاء الجنون إلى المدن مرة أخرى ، وسيظلون حفاة وستصبح لهم الأرض أشواكاً جديدة .
- أسمع صمت الحجاز كلَّ أذن صاغية : إن أهل الصحراء سيوفون بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم .
- وقد سمعت من الملائكة فى السماء أن الأسد الذى دمر دولة الروم ، سيخرج من الصحراء مرة أخرى .
- فعندما أشار إلىّ الساقى فى محفل شاربى الخمر ، بدأ شيخ الحانة يقول إنه سليط اللسان .
- فيا قاطنى ديار الغرب إن هذه دنيا الله ، وليست متجراً ، وما تعتبرونه الآن ذهباً سينقص عياره .
- **إن حضارتكم سوف تنتحر بخنجرها ، لأن العش المبني على غصن هش لن يبقى .**

---

[1] المازينى هو يوسف ما زين زعيم وطن إيطالى وفيلسوف حركة التحرير فى إيطاليا ولد عام ١٨٠٥ فى جنوه . (المترجم)

- وستتخذ قافلة النمل الضعيفة من أوراق الورد سفناً لها
- وستتقاذفها آلاف الأمواج ، لكنها ستعبر البحر
- إن شقائق النعمان تتحول في الروضة لتبدي حرقتها للبراعم

لأنها تعرف أن إرادتها ستجعلها من محروقي القلوب

- أيها النظر إن الذي كان واحداً أظهرت فيه لنا آلفاً ، فإذا كان هذا هو حالك فأنّى لأحد الوثوق بك .
- وعندما قلت لليمامة يوماً ما إن أقدام الأحرار هنا في الطين ، قالت البراعم هذا عالم بسر روضتنا .
- إن عشاق الله بالآلاف يتجولون متخبطين في الفيافي ، سأجعل من نفسي عبداً لمن يحب عباد الله .
- أيها القلب إن من تقاليد محفل الفناء أن حركة العين تعد ذنباً ، فأي عزة تنالها ما دمت مضطرباً .
- سوف أرحل بقافلتي المتعبة في ظلام الليل ، وستنثر آهاتي الشرر وسترمي نفسي بكرات النار .
- فإن كانت غاية حياتك منحصرة في الظهور فحسب ، فستمحى من الدنيا على الفور مثل الشرر .
- فلا تسل عن مقر إقبال فهو كما هو حتى الآن ، وستجده جالساً على قارعة الطريق يتحمل ألم الانتظار .

الجــزء الثالث : ١٩٠٨م

البــلاد الإسلاميـــة

- إن أرض دهلي هى موضع سجود القلب الحزين ، وقد امتزجت جميع ذرات ترابها بدم الأجداد .
- فكيف لا يكون تراب هذه الروضة المقررة طاهراً ، وهذه الأرض هى خانقاه عظمة الإسلام .
- ويرقد ملك خير الأمم فى ترابها ، وكأن نظام العالم وإداراته رهناً بحكمه .
- والقلب يخفق حتى الآن من ذكرى دفء محفلهم ، لقد احترق المحصول لكن ذكراه باقية .
- إن مدينة جهان آباد واجب على المسلم زيارتها ، ومدينة بغداد لها حق فى هذا التكريم .
- هذه الروضة التى كانت لها متاع الدلال ، هى إقحوانة الصحراء ويدعونها بحضارة الحجاز .
- فكيف لا يناطح تراب هذه المدينة جنة إرم ، التى عاصرت أقدام خلفاء النبى .
- وهي هذه الحديقة التى كانت براعمها متاع الحديقة نفسها ، وهي كذلك مدفن من كانت روما تخشاهم .
- وأرض قرطبة هى كذلك نور عين المسلم ، كانت مضيئة كشمع الطور فى ظلام الغرب .
- وبعدها انطفأ مصباح محفل الملة البيضاء ، وأضاء مصباح الحضارة الحالية .
- إن هذه الأرض الطاهرة هى قبر هذه الحضارة ، التى استمدت منها روضة فى أوربا ندواتها .
- أما مدينة القسطنطينية أي ديار القيصر ، فصارت رمزاً راسخاً لقوة مهدي الأمة .

- **هذه الأرض طاهرة أيضا كتراب الحرم ، وهى عاصمة الملك الجالس على عرش (لولاك) [1] .**
- **فهواؤها نقي كأريج الوردة ، وينبعث النداء من قبر أيوب الأنصاري رحمة الله عليه .**
- **أيها المسلمون إن هذه المدينة هي قلب الأمة الإسلامية ، وهى ثمرة غزوات مئات القرون .**
- **فيها مقام مصطفى ، وزيارة مسجدها يعادل زيارة الكعبة ، فكأنها مثل الحج الأكبر بالنسبة لي.**

- إنك تتلألئين مثل الفص في خاتم الوجود ، وكأن أرضك هي موضع ولادة عظمتك .
- لقد التمس ملك الملوك العظيم الراحة فيك ، ووجدت أمم العالم الأمان في كنفك .
- وصار من يذكر اسمه من ملوك العالم ، خلفاً للقيصر ووريثاً لعرش جمشيد .
- لو أن القومية الإسلامية مرتبطة بمكان ما ، لكانت الهند أساساً لها لا فارس ولا الشام .
- آه يا يثرب أنت موطن المسلم ومأواه كذلك ، أنت مركز لجذب أشعة النور .
- ما دمت أنت قائمة في هذه الدنيا فنحن باقون كذلك ، أنت الصباح في هذه الروضة وأنت أيضاً جواهر الندى .

النجــم

- هل تخاف القمر أم السحر ؟ وهل علمت فى مآل الحسن ؟
- أتخاف من سلب متاع النور ؟ وهل تخشى أن تفنى مثل الشرر ؟
- لقد وهبتك السماء مسكناً بعيداً عن الأرض ، ودثرت بعباءة ذهبية مثل القمر .
- ومع هذا فروحك الصغيرة خائفة وغضبى ، وتقضي الليلة بأكمله مرتعداً .

---

[1] إشارة إلى الحديث القدسى : "لولاك ما خلقت الأفلاك" . (المترجم)

- هذا العمران عجيب أيها المسافر اللامع ، فما يعد أوجا لأحد يعد حضيضاً للآخر .
- إن شروق الشمس مرة واحدة هو موت لآلاف النجوم ، ونوم الفناء هو سكر خمر الوجود .
- وانتهاء البرعم هو سر ظهور الوردة ، والعدم هو العدم لأنه مرآة الحياة .
- والسكون مستحيل في مصنع القدرة ، وفي هذا العصر يوجد لكل تغير ثبات .

نجمتـــان

عندما تم عقد قران نجمتين ، قالت إحداهما للأخرى :

- ما أجمل هذا الوصال الدائم ، وما أجمله لو انتهى سعيداً .
- فلو ترفق الفلك بنا قليلاً ، صار نورنا شعاعاً واحداً .
- إلا أن أمنية هذا الوصال ، كانت كلها رسالة الفراق .
- فالدوران مقدر على النجوم ، ولكل نجم طريقه المحدد .
- إن ثبات المعرفة حلم ، والفراق من قوانين الحياة .

المقبـــرة الملكيـــة

- ارتدت السماء خرقة السحب القديمة ، وكان هناك شئ يُكدّر مرآة جبين القمر .
- وضوء القمر خافت في هذا المشهد الصامت ، والصباح الصادق نائم في حضن الليل .
- وكم كانت الحيرة تزيد من صمت الأشجار ، فالصمت نغمة خافتة لقيثارة القدرة .
- فباطن جميع ذرات العالم بأسره كلها ألم ، والصمت مثل أنفاس باردة على شفاة الحياة .

- فهذه القلعة [1] التي كان عالمكير يتجول لها ، تحمل على عاتقها أحمال مئات القرون .
- لقد كانت الحياة تدب فيها أما الآن فهي قاع صرصر ، وهذا الصمت هو ضجيج المقبرة .
- وهى مولعة بتراب ساكنيها القدماء ، واقفة كالحارس على قمة الجبل .
- والنجم الأخضر ينظر إلى العالم ، من أعالي السماء من خلال كوة السحاب .
- إن منظر سعة الدنيا هو اللعب في التراب ، وهى تعلم حكاية فشل الإنسان بكل جد .
- فهذا المسافر يمشى ناحية المنزل منذ الأزل ، يرنو من السماء إلى مشاهد الثورات ومع أن السكون غير ممكن للنجم في هذا العالم ، إلا أنه وقف لحظة لقراءة الفاتحة .
- إن الأرض تغص بالمتع و ألوان الحياة وإنها مقبرة لمئات الحضارات مسفوكة الدماء .
- وهذا المنزل المثير للشفقة هو قبر الملوك ، فيا عين العبرة! أدى الخراج للدموع القرمزية .
- ها هي المقبرة ، لكن هذا تراب أقدام الفلك ، آه على متاع قوم تعيسي الحظ .
- إن المقابر تدعو إلى الحيرة إلى هذا الحد ، الذي يجعل العين تحذر من حركة .
- وتتم هذه الصورة عن كيفية الفشل ، حتى أنه من الصعب أن تنعكس في مرآة الكتابة .
- إنهم ينامون في سكون بعيداً عن ضوضاء العمران ، وقد كانوا مفتونين مضطربين بأمانيهم .
- هذه الشموس تتلألأ في ظلام القبر ، الذي كان الفلك يظل ساجداً على أبوابه .
- فهل هذا هو مآل عظمة أولئك الملوك الذين كان الزوال يخشى من مخططاتهم الدنيوية .

---

[1] هى قلعة حواكنده فى جنوب الهندى وتقع الآن خارج مدينة حيدر آباد فتحها عالمكير عام ١٦٨٧م . (المترجم)

- فلا مقر من مباغتة الموت ، حتى بالنسبة لمن يصف العظيم أو المهيب .
- فالقبر كذلك هو حصاد مزرعة عمر الملوك ، وكأنه آخر منزل في طريق العظمة .
- فأي ضوضاء لمجلس الطرب هذا وأي نغمات هذه وأي عويل في ليل العالم المتألم ؟
- وأي جلبة للسيوف في أرض المعركة ؟ وما هو صوت التكبير الذي يولد الحماس ؟ والآن لا يمكن لأي صوت إيقاظ النائمين ، ولا يمكن أن يعيد الروح المفقودة في الدر المهجور .
- الروح تعاني من شدة الظلم في قبضة التراب ، والنفس عندما يتحول إلى درب الناي يصير عويلاً .
- إن حياة الإنسان مثل طائر عذب الصوت ، توقف لحظات على غصن وغرد ثم طار .
- آه ! كيف أتينا إلى رياض الدهر وكيف ذهبنا ؟ نبتنا من غصن الحياة ترعرعنا ثم ذبلنا .
- إن الموت هو تعبير لرؤيا كل ملك و متسول ، وظلم هذا الجائر هو شكل من أشكال العدل .
- وسلسلة الحياة بحر بلا شطئان ، وأمواج هذا البحر التي لا نهاية له هي القبر .
- أيها الجنون لتذرف الدموع دمعاً على هذه الدنيا الزائلة ، فهي مثل بسمة الشرر وأعواد القش .
- أما القمر الذي يعد معجزة خالق الكون ، مرتدياً عباءته المزركشة مختالاً فخوراً .
- وهو وجل رغم رحابة السماء التي لا نجوم فيها ، ولا يراه أحد قط وقت السحر .
- فالذي كان قمراً يبدو الآن مثل قطعة من السحاب الصغيرة ، وفناؤه رهن لذرف الدمعة الأخيرة .
- وهكذا فإن حياة الشعوب لا اعتبار لها وكأن ربيعها صورة رسمت بألوان باهتة .
- وفي هذا العالم الخاسر لا يمكن لشعب أن يفرض احترامه على الناس ، ويظل حملاً ثقيلاً على كاهل الدهر إلى الأبد .

- لقد اعتادت الدنيا على فناء الشعوب ، حتى أنها تنظر إلى هذا المنظر بلا اكتراث .
- لا شئ يظل مستقراً على حالة واحدة ، فمزاج الدهر مركب من ذوق التجديد .
- والاسم الجديد دائماً يكون كالزينة لخاتم الدهر ، والدنيا الأم حبلى بالشعوب الجديدة .
- وهذا الطريق عليم بآلاف القوافل وكم من ملوك رأتهم عين الجوهرة (كوه النور) [١] .
- لقد محيت مملكتا مصر وبابل ولم يبق لهما أثر ، وحتى قصصهم لم تسطر في دفتر الوجود .
- وأتى ليل الأجل على شمس إيران ، وسلبت الأيام عظمة اليونان وروما .
- وا آسفاه فقد ودع المسلم الزمن بدوره ، وانقشعت سحابة آذار من السماء وأمطرت ثم مضت .
- وبسبب دموع السحاب صار عرق الزهرة كفص لؤلؤ ، وكأن شعاع الشمس اختلط بقطرات الندى .
- وصار صدر النهر مهداً للأشعة ، فكم هو رائع مشهد الشمس على شاطئ النهر .
- فشجرة الصنوبر تزين نفسها وصفحة النهر مرآة لها ، ونسيم الربيع مرآة لبرعم الوردة .
- وفى أحد أركان الحديقة يصرخ العندليب ، ويتوارى عن أعين الإنسان في عزلة بين أوراق الشجر .
- والبلبل صاحب الصوت العذب هو مطرب الحديقة ، وكأن هواء البستان يحيا بأنفاسه .
- فهو صورة طائرة لثورات العشق ، وأجمل ما خطه قلم القدرة .
- وفى الحديقة عقدت المجالس الصامتة لأبناء الحديقة ، بينما تتعالى صيحات الرعاة فى أودية الجبال .

---

[١] كوه نور جوهره هنديه عبارة عن قطعة من الألماس وزنها ١٠٦ قيراط كانت توضع فى تيجان ملوك الهند وآلت الآن إلى الإنجليز وهى فى تاج ملكة بريطانيا . (المترجم)

- فالحياة معمورة بهذا المخلوق الطيني القديم ، ووجل الحياة مستتر في الموت .
- وتتساقط أوراق الورود في الخريف هكذا ، مثلما تتساقط اللعب المزركشة من يد طفل يغفو .
- إن هذه الأرض المليئة بالمتع والمباهج بلا حدود ، لأن هناك حزن هو حزن الأمة المتجدد دائماً .
- إن قلوبنا لا تخلو من ذكرى عهد السلف ، وهذه الأمة لا تنسى ملوكها .
- فهذه الآثار سبب لزرف الدموع ، فعيوننا مبتلة بسبب البكاء المتواصل .
- عيوننا الباكية تمنح اللؤلؤ للدهر ، ونحن آخر طوفان في السحب العابرة .
- توجد حتى الآن مئات الجواهر في حضن هذا السحاب ، والبرق باق فى صدره الصامت .
- وهو يستطيع أن يجعل من تراب الصحراء وادياً من الورود ، ويمكنه أن يوقظ أمل الفلاح من النوم .
- لقد انتهى ظهور عظمة الأمة ، لكن ظهور شأن الجمال باقٍ حتى الآن .

بـزوغ الصبـاح

- ظهر الصباح واضحاً من تحت طرف الأفق ، كفتاة الليل والنهار .
- وقد ركنت الشمس إلى الراحة بعد حصاد النجوم ، وتجلت الشمس بنورها على مزرعة الشرق .
- وعندما علمت السماء بقدوم الشمس ، عقدت محمل طيران الليل على كتف الغبار .
- وكأن أشعة الشمس محصول هذه المزروعة ، حيث يبذر فيها فلاح الفلك شرر النجوم .

- وكان نجم السحر يدور كعابد قائم بالليل ، في دار عبادة بعد خروج الجميع .
- ما أبدع هذا المشهد كأن أحداً ما ، يستل ببطء سيفاً لامعاً في الظلام .
- إن مضمون الصباح مضمر في مطلع الشمس ، مثلما تخزن الخمر المعتقة فى الإبريق .
- ويقرب الصباح الأشياء تحت جنح الرياح ، فتتداخل أصوات الأذان مع دقات الناقوس .
- واستيقظت الطيور المغردة على أذان العندليب ، وكأن كل وتر من أوتار قانون السحر لها نغمة .

تضمين على شعر أنيسي شاملو [١]

- أنا مشرد دائماً كرياح السحر ، إن المضي على طريق الحب أفضل من بلوغ المنزل .
- وصل القلب المضطرب إلى ديار الشيخ سنجر [٢] ، حيث يجد هناك علاج لألم عدم الصبر .
- وحتى الآن شفتاي لا تعرفان حروف التمني ، قبل أن يقبل لساني منه حرارة النطق .
- وقد انبعث صوت من القبر أن سكان الحرم ، يشكون منك يا تارك قوانين الآباء .
- وأنت يا قيس كيف خمدت حرقتك الداخلية ؟ مع أن ليلى كما هي حتى الآن لها نفس الدلال القديم .
- إن بذرة لا إله إلا الله لم تنبت في أرضك البور ، ودلال فطرتك ذليل على مر الزمان .
- أيها الغافل هل تدرى ما حياتك ؟ إنها تعمر أنغام الكنيسة بالألحان .
- أنت قد تربيت في كنف بيت الله إلا أن قلبك المفتون متيم بمعبد الأصنام .
- تعلمت منا الوفاء وعملت به مع الآخرين ، وسلبت الجواهر منا ونثرتها على الآخرين .

فلسفة الغم

(إلى سيد فضل حسين المحامى بلا هور)

- إن خمر الحياة هي متعة الحياة بأسرها ، وفى ذيل الدموع أيضاً تكمن سحب الحياة .
- حباب الحياة يرقص على أمواج الغم "وسورة ألم" كذلك جزء من كتاب الحياة .

---

[١] انيسى شاملو شاعر من أصل تركى (اسمه مرزا يولقلي بيك) ولد وعاش فى إيران ونظم بالفارسية ثم رحل إلى الهند وتوفى عام ١٠١٣هـ فى برها بنور . (المترجم)

[٢] هو سلطان الهند معين الدين حسن قطب صوفى ولد فى سجستان وتوفى فى أجمير سنة ٦٣٢هـ . (المترجم)

- إن الوردة التي فقدت ورقة واحدة لا تكون وردة ، كما أن البلبل لا يكون بلبلاً ما دام لم يعرف في الخريف .
- وقصة القلب مخضبة بدماء الأماني ، ونغمة الإنسانية لا تكون كاملة بدون عويل .
- إن حرقة ألم الحزن مثل مصباح للعين الباصرة ، ومرآة الآهات هي متاع الزينة للروح .
- وفطرة الإنسان تكتمل من أحداث الغم ، وتراب الملل بمثابة مسحوق الزينة لمرآة القلب .
- إن الغم يوقظ الشباب من الأحلام السعيدة ، وهذا هو المضراب الذي يوقظ هذه النغمات .
- والغم مثل الأقدام الأمامية لطائر القلب ، وقلب الإنسان هو السر والغم يكشف السر .
- الغم ليس غماً بل نغمة الروح الصامتة ، التي تعانق لحن آلات قانون الحياة .
- إن من يخلو مساؤه من كلمة "يا رب" لا يتجلى ليله بكواكب الدموع .
- والذي لا يعرف كأس قلبه الانكسار من الغم ، قضى حياته بين سكر الخمر والسعادة .
- وقاطف الورد الذي تكون يده في مأمن عن وخز الشوك ، لا يدرى عشقه متاعب الهجران .
- فبالرغم من أن ليله ونهاره بعيدان عن معاناة الغم ، إلا أن سر الحياة كامن فى عينيه .
- يا من تدرك قوانين الدهر وتفهمها ، لماذا لا يخفف عنك منزل الغم والأحزان .
- العشق هو تمهيد الوصفة الأخيرة للأبد ، إن عقل الإنسان فانٍ أما العشق فهو حي خالد .
- إن مساء الأجل خجل من شمس العشق ، والعشق هو حرقة الحياة الموجودة للأبد .
- لو أن هدف وداع المحبوب هو الفناء ، فإن قلب العاشق سيخلو من حماس الحب .
- العشق لا يموت بموت الحبيب بل يمكث في الروح في شكل الغم ولا يبارحها .

- إن وجود المحبوب رهن بوجود العشق ، وحياة المحبوب لا تعرف العدم .
- فالنهر ينبع من جبين الجبل مترنماً ، ويعلم طيور السماء الأنغام .
- مرآته منيرة وصورته كخد الحور ، وهى تتحطم عندما تصطدم بصخور الوادي .
- وتصبح مياه النهر جواهر ثمينة ، أي أن المياه صارت نجوماً من هذا الاصطدام .
- واضطرب النهر الصافي كالزئبق الرقراق بعدما صار إرباً وبذلك ظهر عالم القطرات المضطربة .
- إن الهجر لهذه القطرات هو تعليم للوصال ، فهي تصير كخيط الفضة على مسافة قدمين .
- فالحياة في حقيقة الأمر كنهر جار ، سقطت من عل فصارت جموع بنى بشر .
- ونتقابل في هذه الدنيا الحقيرة لكي نفترق ، ونظن هذا الفراق العارض فراقاً دائماً ونبكى عليه .
- يموت الموتى لكنهم لا يفنون ، وهم في الأصل لا يفترقون عنا قط .
- إن العقل عندما تحيط به مصائب الدهر ، أو يكون محتجبا خلف ليل ظلمة الشباب .
- يصبح ذيل القلب ميداناً للحرب بين الخير والشر ، ويصبح السفر نحو المنزل صعب بسبب ظلمة الطريق .
- وعندما يصبح خضر الهمة زاهداً في الأماني ، عندئذ يعجز الفكر ويسكت صوت الضمير .
- وحينما لا يكون لك رفيقاً في السفر إلى وادي الحياة ، فإن شرر اليراعة لن يدلك على الطريق .
- إن جبين الموتى مضيء في هذه الظلمات مثله مثل النجوم التي تتلألأ في ظلام الليل .

عندما منح وردة هدية

- عندما يذهب صاحب الدلال النشوان إلى الحديقة ، تلهج ألسنة كل برعم بالدعاء .
- يقول : يا إلهي اصطفيني من بين الورود ، واجعلني مثار غيرة زهرة الشمس .

- يا لك من حظ سعيد فهي تقطفك من الفرع ، ولهذا فإن حاسديك مضطربين في الحديقة .
- وعندما فلت الوصل تحملت صدمة الفراق ، ووصل جوهر حياتك إلى الكمال .
- فوردتي هي النيلوفر ولكن أرباب البصيرة فداء لها ، وهي التي تختال بها حديقة حياتي .
- هذه الوردة لم تنل ما ترنو إليه من الأمنيات ، ولم تتعرف على ذيل ملون لأحد .
- لن يتمكن أي ربيع من أن يفتحها ، فهي شاردة في انتظار قاطف الورد .

نشيـــد الأمة

- الصين لنا والعرب لنا والهند لنا ، نحن مسلمون والعالم بأسره وطننا .
- فى صدورنا أمانة التوحيد ، وليس من السهل طمس اسمنا وأثرنا .
- وبيت الله هو أول مكان للعبادة فى الدنيا ، نحن نحرسه وهو يحرسنا .
- لقد ترعرعنا وصرنا شباباً تحت ظلال السيوف ، والرمز القومى لنا هو خنجر كالهلال .
- وصدح أذاننا فى وديان الغرب ، ولن يستطع أحد الوقوف أمام سيل تدفقنا .
- أيتها السماء إن الباطل لايقدر على أن يزهقنا ، وقد اختبرتنا مائة مرة .
- فيا حديقة الأندلس هل تتذكرين تلك الأيام ؟ عندما كان عشنا فى أكنافك .
- وأنت يا أمواج دجلة تعرفيننا ، فنهرك يحكي قصتنا حتى الآن .
- أيتها الأرض الطاهرة لقد ضحينا بأنفسنا للمحافظة عليك ، دماؤنا تجري فى عروقك حتى الآن .
- إن قائد قافلتنا هو أمير الحجاز .
- ونشيد إقبال مثل صليل الجرس ،
- وهكذا تمضى قافلتنا وتطوي الطريق من جديد .

الوطنيـــة

(أى الوطن من وجهه نظر سياسية)

- الخمر والكأس فى هذا العهد مختلفة عما قبلها ، فقد اخترع الساقى أسلوباً آخر للعدل والظلم .
- وشيد المسلم لنفسه كذلك حرماً آخر ، فنحت آزر الحضارة إلهاً آخر .
- والوطن هو أكبر هذه الآلهة الجديدة طرا ، وقميصه هو كفن الدين .
- هذا الإله الذى نحتته الحضارة الحديثة ، هو المغير على كتف الدين النبوى .
- إن عضدك يستمد القوة من قوة التوحيد ، الإسلام هو وطنك إن كنت تتصل بصفات المصطفى .
- فأعرض على الزمان تلك المشاهد القديمة ، ومرغ أيها المصطفوى هذا الصنم فى التراب .
- ما دامت مقيداً بالمكان فالخسران هو النتيجة ، وابق فى البحر كالسمكة متحرراً عن الوطن .
- إن الهجرة الوطن سنة حبيب الله (صلى الله عليه وسلم) فلتكن شاهداً على صدق النبوة .
- الوطن شئ آخر بلغة السياسة ، والوطن فى الحديث النبوى أمر مختلف .
- الهدف من ذلك أن تكون هناك عداوة بين أمم العالم ، وهدف الاستعمار هو التجارة .

- السياسة تخلو من الصدق ، وبسبب الوطن أغير على بيوت الضعفاء .
- وبسببه كذلك تتوزع مخلوقات الله بين الأمم ، وعن طريقته يتم استئصال أمة الإسلام .

حاج فى طريقه إلى المدينة

- مضت القافلة فى الصحراء والمنزل بعيد ، هذه الصحراء ما بين مكة والمدينة والشاطئ فيها بعيد .
- أصبح رفاقى فى السفر صيداً لسكين قاطع الطريق ، ومن نجا منهم اتجه هائما على وجهه إلى بيت الله .
- أى سعادة تلك التى جعلت ذلك الشاب البخارى يضحي بنفسه ، فقد نال الحياة فى قسم الموت .
- كان خنجر قاطع الطريق كأنه هلال العيد ، وكانت "تلبيات يثرب" فى قلبه وكانت صيحة التوحيد على الشفاة .
- يقول الخوف : لا تتجه وحدك إلى يثرب ويقول الشوق : أنت مسلم فامش بلا خوف .
- فهل أرجع إلى بيت الله دون زيارة النبى ، وكيف أواجه العشاق يوم القيامة ؟
- إن من يطوي صحراء الحجاز لا يخاف على روحه ، وهذا هو السر الخفي لهجرة النبى (صلى الله عليه وسلم) مدفون يثرب .
- مع أن السلامة فى مرافقة المحمل الشامي لكن لذة العشق كامنة فى مواجهة المخاطر .
- وا آسفاه ! يا له من ذكي ذلك العقل الذى يفكر فى الخسارة ، وإلى أى مدى يتأثر الإنسان بالجرأة .

قطعـــة

بالأمس كان هناك رجل شارد الفكر ينتحب أمام ضريح النبى ويقول :

- إن مسلمى مصر والهند يقوضون أسس الدين .
- وزوار حريم الغرب صاروا لنا آلافاً من المرشدين ، وهم لا يعرفونك لأنهم كانوا غرباء عنك .
- تباً لهؤلاء ، اللهم احفظ قومك من أولئك المرشدين الأناتين ، فإن عزتهم كانت قائمة على تضليل مسلميك .
- من ذا الذى سيسمعك يا إقبال وقد تبدل المحفل ، أنت تقص علينا فى العصر الجديد حكايتك القديمة .

شكـــوى [1]

- لماذا يكون جهدي خاسراً وأنى المكسب ؟ ولا أفكر فى الغد ويستسغرقنى الغم ؟
- واستمع إلى أنين البلبل وكلي آذان صاغية ، يا رفيقي أنا أيضا وردة ظلت صامتة .
- وقد تعلمت الجرأة من حرارة شعري ، وأشكو الله ! فليملأ التراب فمى .
- حقاً نحن مشهورون فى سلوك الطاعة ، ومجبورون أن نروي حكاية الألم .
- نحن كالنغم الصامت الملئ بالأنين ، ولو فاض الأنين على الشفاة فنحن معذورون .
- يا رب! اسمع شكوى أرباب الوفاء ، لتصغ قليلاً إلى شكوى من فى طبعهم حمدك .
- لقد كانت ذاتك القديمة منذ الأزل وكانت الوردة زينة الروضة لكن أريجها لم يتضوع .
- فلتخبرنى يا صاحب الألطاف الكثيرة ، كيف يتضوع الشذى لو لم يكن هناك نسيم ؟
- لقد كان اجتماعنا بسبب اضطراب الخاطر ، وإلا لأصيبت أمة حبيبك بالجنون .
- وكان مشهد الحياة قبلنا عجيباً ، كانوا يسجدون للحجر فى مكان ويعبدون الشجر فى آخر .
- لقد تعود نظر الإنسان على الهيكل المحسوس ، فكيف لهم أن يؤمنوا دون أن يروا الله .
- أنت تعرف هل كان هناك من يذكر اسمك قبلنا ؟ لقد تحقق هذا الأمر بقوة سواعد المسلمين .
- كان السلاجقة والتورانيون يعيشون هنا ، والصينيون فى الصين والساسانيون فى إيران .
- وكان اليونانيون يقطنون أيضاً فى هذه الأماكن ، واليهود والنصارى كانوا أيضاً فى هذه الدنيا .

---

[1] ترجم الصاوى شعلان هذه المنظومة إلى العربية شعراً ونشرها فى كتابه "إيوان إقبال" . (المترجم)

- فمن ذا الذى حمل السيف لإعلاء اسمك ؟ ومن ذا الذى أصلح الأمورالخاطئة ؟
- نحن وحدنا الذين دخلنا المعركة من أجلك ، وحاربنا فى البر أحياناً ، وفى البحر أحياناً أخرى .
- ورفعنا الآذان حيناً فى كنائس أوربا ، وحينا فى صحارى إفريقيا القاحلة .
- لم نأبه بشأن ملوك الدنيا فكنا نكبر تحت ظلال السيوف .
- كنا نعيش من مكاره الحروب ، ونموت فى سبيل عظمة اسمك .
- لم نكن نتلقى السيوف طمعاً فى الحكم ، ولم نكن نحمل رؤوسنا على أكفنا فى سبيل المال ؟
- وإن كان قومنا يموتون من أجل المال والذهب فلماذا حطموا الأصنام بدلاً من بيعها ؟
- ولم تتزعزع أقدامنا عندما يحمى وطيس المعركة ، وإن تزعزعت أقدام الأسود فى الميدان .
- ولو تهجم عليك أحد لأجهزنا عليه ، ما السيف ؟ لقد كنا نحارب المدفع .
- لقد حفرنا كلمة التوحيد فى كل قلب ، وأبلغنا هذه الرسالة تحت الخنجر .
- فقل لى من ذا الذى اقتلع باب خير ؟ ومن الذى فتح مدينة قيصر ؟
- ومن الذى حطم تماثيل الآلهة ؟ ومن الذى شتت شمل جيش الكفار ؟
- ومن الذى أخمد معبد النار فى إيران ؟ ومن الذى أحيا ذكر الإله مرة أخرى ؟
- ومن هم القوم الذين كانوا يريدونك لذاتك فقط ، وتحملوا من أجلك الصعاب والمحن .
- وأى سيف فتح العالم وسخره ؟ وأى تكبير أيقظ دنياك ؟
- وأى رهبة تلك التى اهتزت منها الأصنام ؟ وكانت تضغط على الوجه وتقول "هو الله أحد" .
- ولو حان وقت الصلاة أثناء المعركة استقبل أهل الحجاز القبلة وقبلوا الأرض .
- ووقف كل من السلطان محمود وغلامه أياز فى صف واحد ، ولم يعد هناك سيد ولا عبد .
- فالعبد والسيد والفقير والغلام صاروا جميعاً سواسية ، وعندما وصلوا إلى بلاطك توحدوا كالكأس .
- لقد داروا فى محفل الكون والمكان وقت المساء والسحر ، وتناولوا خمر التوحيد وانتشوا .
- حملنا رسالتك ودرنا بها فى الجبال والصحارى ، وتعلم أننا لم نرجع مرة خاسرين .
- ما الصحراء ؟ نحن لم نترك البحار كذلك ، وجعلنا بحر الظلمات ميداناً لخيولنا.
- أزهقنا الباطل من صفحة الدهر ، وحررنا بني بشر من العبودية .
- وعمرنا كعبتك بجباهنا ، وحفظنا مرآتك فى صدورنا .
- ورغم هذا تتهمنا بعدم الوفاء ، لو لم نكن أوفياء فأنت كذلك لست حبيباً .
- توجد أمم كثيرة فيها كثير من العصاة والمذنبين ، وفيها كذلك العاجزون ومن انتشوا بخمر الكبرياء .
- منهم الخاملون والغافلون والعقلاء ومنهم آلاف يتبرمون من اسمك .
- إن رحمتك تهبط على منازل الأغيار بينما البرق يصعق المسلمين الذين لا حيلة لهم .
- الأصنام فى المعابد تقول إن المسلمين ذهبوا ، وهم مسرورون لرحيل حماة الكعبة .
- كما رحل حداة الإبل عن منزل الدهر ، لقد رحلوا واضعين القرآن تحت إبطهم .
- إن الكفر يطلق الضحاكات ساخراً فهل تدرك ذلك أم لا ؟ وهل تكترث بتوحيدك أم لا ؟
- هذه ليست شكوى ممن لا يعرفون أسلوب الحديث ، فخزائنهم عامرة فى المجلس .
- هذا هو القهر بعينه فالكفار يجدون الحور والقصور بينما المسلم المسكين قد وعد بالحور فقط .
- والآن أين عنايتك ورحمتك ! والحقيقة إننا لم نعد نتلقى الود كما كان من قبل .
- فلماذا لا يحصل المسلمون على أموال الدنيا ، فقدرتك ليس لها حد ولا حساب .
- تستطيع أن تحمل الحباب فى صدر الصحراء ، وتلقى بأمواج ماء السراب على عابر سبيل الصحراء .
- الأغيار (يشككون) وتوجد فضائح وعوز ، فهل الذلة هى مكافأة الموت فى سبيل إعلاء شأنك .
- والآن صارت الدنيا تحب الأغيار من دوننا، ولم يبق لنا منها إلا عالم السراب .
- وودعنا الدنيا ،وتسلمها الآخرون ، فلا تقل إن الدنيا صارت خالية من التوحيد .
- ونحيا فى هذا العالم لكي يبقى اسمك فيها ، فهل ممكن أن يبقى الكأس ولا يبقى الساقي ؟
- لقد انفض مجلسك ورحل عنه من أحبوه كذلك ، ورحلت منه آهات الليل وأنين الصباح .
- كما رحل الذين منحوك قلوبهم ونالوا عطاياهم ، وجادوا دون أن يجلسوا فيه بل طردوا منها .
- وحضر العشاق ورحلوا حاملين معهم وعود الغد ، وأنا أبحث عنهم الآن فى ضوء محياك البهي .
- لم تزل معاناة ليلى كما هى ، وضلوع قيس محطمة كما كانت ، والغزال شارد فى صحارى وجبال نجد كما كان .
- وقلب العشق كما هو ، وسحر الحسن على حاله ، وأمة أحمد المرسل كما هى وأنت أيضاً كما كنت .
- وما معنى هذا التبرم الذى لا سبب له ؟ وما معنى نظرة الغضب على عبيدك .
- فهل تخلينا عنك أم تخلينا عن الرسول العربى ؟ وهل تركنا تحطيم الأصنام وجعلنا من نحت الأصنام مهنة لنا ؟

- وهل تركنا العشق والسعى خلفه ؟ وهل تركنا عادة سلمان الفارسى وأويس القرنى ؟
- لا زالت نيران التكبير تستعر فى صدورنا إلى الآن ، ولا زلنا نعيش مثل بلال الحبشى .
- أجل فإن العشق لم يعد على الطريقة القديمة ، ولم نعد نطوى طريق الطاعة والرضاء .
- والقلب كذلك لم يعد يخفق ناحية القبلة ، ولم نعد نلتزم بقوانين الوفاء .
- وأنت تميل ناحيتنا حيناً وإلى الآخرين حيناً ، هذا كلام لا يقال فأنت لست واضحاً فى حبك .
- لقد أكملت الدين على قمة جبل فاران ، وملكت قلوب الآلاف بإشارة واحدة .
- وألقيت نتاج العشق فى النار ، وأشعلت النار فى المجلس بحرارة خدك .
- لما لا تولد الشرر فى قلوبنا اليوم ؟ ألا تتذكر أننا أنفسنا محروقى المتاع .
- ولم يعد هناك صخب للسلاسل فى وادى نجد ، ولم يعد قيس متيماً بمشهد المحفل .
- ولم تبق الشجاعة ولم نبق نحن ولم يبق القلب ، وصار المنزل مهجوراً ولم يبق شئ من رونق المجلس .
- وما أسعد ذلك اليم الذى تأتى فيه إلينا مدللاً ، وترجع إلى مجلسنا بدون حجاب .
- إن الأغيار يجلسون على شاطئ النهر يعاقرون الصهباء ، ويستمعون إلى هديل اليمام والكئوس بأيديهم .
- ومنهم من يجلس فى ناحية بعيداً عن ضوضاء الروضة ، وهم مفتونون بك يجلسون فى انتظار "هو" .
- فلتهب الشوق لفراشاتك لكى يحرقن أنفسهن مرة أخرى ولتأمر البرق القديم بإحراق الكبد .
- إن القوم مشردون فى حاجة إلى طاقة ليتجهوا إلى الحجاز مرة أخرى ، ولتمنح البلبل الذى يطير بلا جناح ذوق الطيران .
- وأريج الحاجة يتضوع فى براعم الروضة المضطربة ، فلتداعب الأوتار برفق فهى متعطشة لنغمة الريشة .
- إن النغمات مضطربة فى انتظار الخروج من الأوتار ، وجبل الطور مضطر للاحتراق بهذه النيران .
- فلتيسر مشكلات الأمة المرحومة ، واجعل النملة التى لا حول لها تنافس سيدنا سليمان .

- ولتكثر من بضاعة الحب النادرة ،ولتجعل من الجالسين فى أديرة الهند مسلمين.
- إن نهر الدماء يتقطر حسرة على ماضينا القديم ، والأنين حبيس فى صدرنا المجروح .
- لقد حمل أريج الوردة سر الروضة خارج الروضة ، فيا لها من كارثة جنتها الوردة على حديقتها .
- لقد انتهى زمن الوردة وتحطم نغم الروضة ، وطارت الطيور المغردة من الحديقة .
- ولا زال أحد البلابل مستغرقاً فى الشدو حتى الآن وتتلاطم الأنغام فى صدره حتى الآن .
- وفر اليمام هارباً من على غصن الصنوبر ، وتناثرت أوراق الورود وهى مضطربة .
- وباتت دروب الروضة القديمة خالية ، وصارت الأغصان عارية من قمصان الورق .
- وتحررت طبيعته من قيود الفصول ، ليت أحد فى الروضة يفهم شكواه .
- فلا طعم فى الحياة ولا راحة فى الموت ، وإن كان هناك لذة ففى تجرع ألم الكبر .
- فكم من الجواهر قلقة فى مرآتي ، وكم من الجلوات ترتعد فى صدري .
- فلا أحد من المشاهدين فى هذه الروضة ، ولا شقائق النعمان التى تخفي أثر الحرقة فى صدرها .
- فلتنفطر القلوب من صوت هذا البلبل الوحيد ، ولتستيقظ الأفئدة من صلصلة هذا الجرس .
- ولتحيا القلوب مرة أخرى من عهد الوفاء الجديد ، ولتظمأ هذه القلوب من الخمر القديم مرة أخرى .
- وإن كنت أعجمى الدن إلا أن خمرتي حجازية ، وإن كنت هندى النغمة إلا أن صوتى حجازى .

القمـــر

- أيها القمر إن حسنك هو عزة الفطرة ، والطواف حول المنزل الأرضي هو من طبعك القديم .
- ما هذه الوسمة الصغيرة الظاهرة فى صدرك ، هل أنت عاشق لأحد ؟ وهل هذا أثر الأمنية ؟
- أنا مضطرب على الأرض وأنت لا يقر لك قرار فى السماء ، أنت تبحث عن شئ ، وأنا أبحث عن شيء كذلك .
- إن المجلس الذي شمعه الإنسان هو أيضاً مجلسك ، والناصية التى أتجه إليها هي هدفك .
- وما تبحث عنه فى سكون النجوم ، ربما يكون كامناً فى ضجيج الحياة .
- أو واقفاً خلف أشجار السرو أو نائماً على بساط الشعب ، أو ربما يظهر فى شدو البلبل أو صمت البرعم .
- فلتأت لكي أريك خده المشرق ، فى مرآة الأنهار وفى قطرات الندى .
- فهو فى الفيافى والمدن وفى الوديان والجبال ، وفى قلب الإنسان وفى محياك .

الليــــل والشاعـــــر

الليـــــل

- لماذا أنت تدور قلقاً فى ضيائى ؟ ساكناً كالوردة مضطرباً كأريجها .
- ربما أنت عالم بجواهر النجوم ، أو سمكة فى بحر نوري ؟
- أو ربما كنت النجم الذى تهاوى من جبيني ، ثم تخليت عن الرفعة وآثرت هذا الحضيض .
- وقد سكت وتر رباب الحياة ، فى مرآة صورة حلم الحياة .
- إن عين الدوامة نامت فى قاع النهر ، ونام الموج المضطرب فى كنف الساحل.
- وهذه الأرض العامرة مثيرة للضجيج والضوضاء ، إلا أنها نامت وكأنها ليست عامرة .
- وقلب الشاعر لا يعرف الإستقرار فكيف تحررت من سحرى ؟

الشاعــــــر

- إننى أزرع الجواهر فى حقل نور قمرك ، وأنوح كالسحر فى غفلة عن عيون البشر .
- إن الدموع التى تستحي أن تنهمر فى ضوضاء النهار ، تذرف فى سكون الليل .
- فلمن أسمع البكاء المكبوت فى صدرى ؟ ولمن أبث لواعج أشواقى .
- إن البرق الأيمن يبكي على صدري ، فأنىّ للعين المبصرة أن تنام ؟
- إن مجلسي كشمع لحد الميت يفتقر إلى الحياة،وا آسفاه أيها الليل فبيتي جد بعيد .
- وهواء هذا العصر الحالي لا يروق له وليس لديه إحساس بفقده .
- وعندما اضطرب من حمل رسالة الحب ، أحكيها لنجومك المتلألئة .

محفــــل النجـــــوم

- أخذت الشمس عند غروبها ، شقائق النعمان المقطوفة من دائرة الأفق ، وألقت بها على ثياب الليل الحالك .
- كما ألبس الشفق الليل الحلى الذهبية ، ونضت الطبيعة عنها الحلى الفضية كلها .
- وجاءت ليلى الظلام فى محفل السكون ، تلألأت جواهر عروس الليل الحسناء .
- تلك التى تقطن بمنأى عن ضجيج معركة الحياة ، ويسميها الإنسان فى لغته بالنجوم .
- وعندما كان محفل النجوم مشغولاً بتلألئه ، جاء صوت ملك من الملأ الأعلى قائلاً :
- يا حارس الليل ويا نجوم السماء ، إن موت أمتكم المضيئة هو فى السماء .
- فاعزفوا الألحان التى توقظ النيام ، إن لمعان جباهكم يرشد القوافل .
- إنهم يعرفون أنكم مرآة لسعدهم ، ولعل أهل الأرض يسمعون أصداكم .
- انقضى السكون من السماء المليئة بالنجوم ، وقد ملأ هذا صوت السماء الرحبة.
- إن الحسن الأزلي ظاهر فى جمال النجوم ، كما فى صورة الوردة ومرآة الندى.
- الخوف من القوانين الجديدة والطيران على الطريقة القديمة ، هذا منزل صعب فى حياة الأمم .
- إن قافلة الحياة متسارعة الخطى ، وقد سحقت الأقوام من شدة عدوها .
- يوجد آلاف من النجوم غائبة عن أعيننا ، وهى مرتبطة فيما بينها برباط الأخوة.
- ولم يدرك أهل الأرض بعد هذا العمر ، الأمر الذى أدركناه فى هذه الحياة القصيرة .
- إن النظم جميعها قائمة على أساس الجاذبية فيما بينها وهذه هى الحكمة الخفية فى حياة النجوم .

نزهة بين (الأفلاك)

- كان الخيال رفيق سفري ، فدلفت إلى السماء .
- كنت أطير ولم يكن هناك أحد ، يعرفني في الأفلاك .
- والنجوم ترنو إلى في حيرة ، كان سفرى سراً مكنوناً .
- خرجت عنه دائرة الليل والنهار ، وخرجت على هذا النظام القديم .
- ماذا أحكي لك عن جنة إرم ، منتهى أمل العين والأذن .
- والطيور تغرد على الغصون ، والحور تعرض حسنها بدون حجاب .
- وغلمان مخلدون بأيديهم كئوس ، والشاربون يتناولون كئوس الخمر الواحدة تلو الأخرى .
- رأت عيناي في مكانى بعيد من الجنة ، بيتاً مظلماً بارداً ساكناً .
- لدرجة أن طالع قيس وذوائب ليلى ، ينافسانه فى ظلمته .
- وكان هذا البيت قارس البرودة ، لدرجة أن كرة الزمهرير تخجل أمامه .
- وعندما سألت عن نوعية هذا المكان ، كان جواب الملاك محيراً .
- هذا المكان البارد هو جهنم ، وجنباتها تخلو من النور والنار .
- وشعلاتها مستعرة يرتعد منها أهل العبرة .
- أما أهل الدنيا الذين يأتون هنا ، يحضرون معهم جمراتهم .

النصيحـــــة

- قلت لإقبال على سبيل النصيحة ، أنت لا تصوم وغير ملتزم بالصلاة .
- وأنت كامل كذلك فى أسلوب أهل الرياء فقلبك متيم بلندن مع أن ذكر الحجاز على شفتيك .
- وأنت انتهازي تسعى وراء المصلحة، وأسلوبك فى التملق هو الإعجاز الكامل .
- وتختم خطبك دائماً بمدح الحكومة وفكرك المتنور هو الذى اخترع قوانين الحاجة .
- وتعتقد أن باب الحكام (مقاما محمودا)[1] ، خططك أكثر تعقيداً من ذوائب إياز .
- وأنت مثل الناس الآخرين يمكنك أن تخفى سر الهوس بالجري وراء حجاب خدمة الدين .
- وتشاهد يوم العيد فى المسجد كذلك ، تتأثر طبيعتك من أثر الوعظ .
- إن صحف وطنك تقبل الأيدى ، حيث أغدقت عليها من أنغام دعايتك .
- علاوة على ذلك فأنت تستطيع أن تقول الشعر أيضاً ، ويوجد فى إبريق شعرك خمر شيراز .
- وتتوفر فيك جميع الصفات المطلوبة لزعيم سياسى فيجب عليك أن تركب أكتاف الرياح وتشارك فى الجدل الدائر .
- لا يوجد أى خوف من الصياد ولديك الريش والجناح ، فما السبب ؟ فى أنك لا ترغب فى الطيران .
- وفى النهاية منزلنا هو وادى الصمت ، وعليك الآن أن تحدث الضجيج تحت قبة الأفلاك .

رام [2]

- إن كأس الهند يفيض بشراب الحقيقة ، وكل فلاسفة الغرب مفتونون بالهند .
- وهذا أثر الفكر الهندي الذى طاول السماء ، بل إن سطح الهند أسمى من السماء.
- وقد وجد آلاف الملوك فى هذا الوطن ، وبسببهم اشتهر اسم الهند فى العالم .

---

[1] هذه الشطرة تحمل معنيان الأول فيها إشارة إلى "مقاماً محموداً" كما جاءت فى سورة الإسراء آية (٧٩) والثانى محمود إشارة إلى القائد الغزنوى ويقابلها في الشطر الثانى غلامه إياز . (المترجم)

[2] رام جندر هو من أكبر آلهة الهند الذى يعتقد فيه الهندوس. (المترجم)

- والهند تفخر بوجود "رام" فيها ، وأهل النظر يعتبرونه إماماً للهند .
- ومن كرامات مصباح الهداية هذا ، أن صار ليل الهند أكثر نوراً من السحر عبر العصور .
- كان صاحب سيف وفى الشجاعة فريداً ، وكان وحيداً فى الطهارة وحماس الحب .

السيارة (٣)

- ما أجمل ما قاله جكندر (٤) أمس ، إن سيارة ذو الفقار على خان لا صوت لها .
- إن سيرها المتهادى لا ازعاج فيه ولا صخب ، وهى سريعة كالبرق ساكنة كالهواء .
- فقلت إن هذا لا ينحصر فى السيارة فحسب ، فكل شئ يمشى بسرعة على درب الحياة صامت .
- فالجرس يئن (يرن) لأنها لا تستطيع السير ، وقافلة النكهة صامتة كرياح الصبا .
- إن الإبريق دائم الضجيج بسبب صوت الماء وأقدامه فى الطين ، إلا أن طبيعة الكأس تميل إلى الصمت .
- إن الصمت بمثابة جناح الطائر لقريحة الشاعر ، ودفء الصوت يدل على ثراء الصمت .

الإنســــان

- إن منظر الرياض سواء كان رائعاً أو غير رائع ، فإن النرجس المحروم من العمل مضطر أن يطيل النظر فيها .
- فليس لديها إحساس بلذة الحركة ، وطبيعة الصنوبر محرومة من هذه الأمنية .
- والتسليم عادة في طبيعة كل شئ فى الدنيا ، وكل قوى الإنسان منهمكة فى البحث .
- ولهذه الذرة طموح فى التوسع كل لحظة ، وهي ليست ذرة فحسب لأن الصحراء كامنة فيها .
- لو أرادت هذه الذرة لغيرت صورة الحديقة ، هذه حياة عالمة وبصيرة وقادرة .

خطـــاب إلـــى شبـــاب الإســـلام

- أيها الشباب المسلم هل فكرتم قليلاً ، أى سماء تلك التى كنتم أنتم نجومها المحطمة .
- لقد ربتكم هذه الأمة فى كنف المحبة ، وهذه الأمة التى كفت تحت أقدامها تاج الملك دارا .
- هم الذين ابتدعوا الحضارة واخترعوا قوانين الحكم فى العالم وهذه الصحراء العربية موطن رعاة الإبل .
- وكان ميراث (الفقر فخرى) عظمة الحكم عندهم ، فالوجه الجميل ليس بحاجة إلى الماء واللون والخال .
- إنهم عباد الله الغيورون رغم فقرهم ، حتى أن الغني كان يخشى أن ينعم عليه الفقير .
- والخلاصة بماذا أخبرك عن أحوال ساكني الصحراء ؟! كانوا فاتحى العالم وأصحاب الدنيا وحراس الكون وزينة العالم .
- لو أرغب رسمت لكم هذه الصورة بالكلمات ، إلا أن هذه الصورة أعظم مما تتخيلون .
- لا توجد أى نسبة بينكم وبين آبائكم ، أنتم تكلمون وهم يعملون ، أنتم كسالى وهم نشطون .
- لقد بددنا التراث الذى ورثناه عن الأسلاف ، وأنزلنا من السماء إلى الأرض .
- ما جدوى البكاء على الحكم الضائع وكان شيئاً عارضاً ، فلا مناص من التسليم بقوانين الدنيا .
- إلا أن مؤلفات آبائنا هى جواهر العلم ، والذى اطلع عليها فى أوربا ينشرح صدره.
- أيها الفتى! عليك أن تعتبر باليوم الأسود شيخ كنعان ، فقد كان نور عينيه يضئ عيني زليخا .

---

(3) **نظم إقبال هذه القطعة عن سيارة صديقة نواب ذو الفقار على خان (١٨٧٥-١٩٣٣م) . (المترجم) .**

(4) السير جوكندر سنكهر صديق ذو الفقار على خان ، ترجم كثيرا من معانى ديوان أسرار خورى بالإنجليزية . (المترجم)

غــرة شوال أو هلال العيــد

- يا غرة شوال يا نور عين الصائم ، أقبلي إن المسلمين جميعاً فى انتظارك .
- إن رسالة العيد مكتوبة على جبينك ، ومساؤك يعد تمهيداً لصباح السعادة والسرور .
- أنت مرآة لسيرة الأمة البيضاء ، أيها الهلال إن بيننا وبينك حب قديم .
- لقد كنا نجرب سيوفنا فى ظل رايتك ، وكانت عباءاتنا مخضبة بدماء الأعداء .
- وكان من نصيبك أن تكون فى أحضان هذه الراية
- وحسنك المتزايد يوماً بعد يوم هو عز الأمة وشرفها .
- الذى يحرس قومنا وهو الذى يدل عليهم
- الوفاء هو دينك ، كما أن قميصك الفضى يثير الحب .
- فلتنظر من أوج السماء على أهل الدنيا ، وانظر من عليائك إلى بيتنا .
- انظر إلى القوافل وانظر إلى سرعتها التى كالبرق
- وانظر أيضاً إلى ألم المسافر الذى تأخر وصوله إلى المنزل .
- كنا نسخو بالجواهر بعد ما نشاهدك على الأفق
- أيها الكأس الفارغ انظر الآن إلى عوزنا .
- فالمسلمون أسرى أغلال التشرذم ، فانظر إلى تحررك وانظر إلى أسرهم .
- وانظر كيف انفرط عقد مسبحة الشيخ فى المسجد ، وانظر إلى البرهمى فى المعبد كيف يتعلق بزناره .
- وشاهد اعتناق الكفار لشرائع المسلمين ، وانظر كذلك إلى ظلم المسلم لأخيه المسلم .
- ولترى مشهد "مطر أحجار الحوادث" ، ولتنظر إلى مرآة جدار الأمة المرحومة.
- وانظر إلى النبلاء أصحاب الشرف الذين اتخذوا التملق حرفة لهم ، وانظر كذلك إلى إعزاز من لا كرامة لهم .
- وارمق من علمناه لطف الكلام ، وانظر إلى دفء حديث هذا الخصم الذى هو بلا لسان .
- واسمع إلى صوت اللهو فى قاعات الغرب ، وانظر إلى الاستعدادات للمآتم فى إيران .
- لقد مزق التركي الجاهل عباءة الخلافة ، فانظر إلى سذاجة المسلم وانظر إلى شطارة الآخرين .
- راقب هذه المشاهد كلها ولتظل صامتاً كالمرآة ، وولتندمج فى غناء الأمس بعيداً عن صخب اليوم .

الشمــــع و الشاعــــر

(فبراير ١٩١٢م)

الشاعـــــر

- بالأمس قلت لشمع منزلٍ موحش ، إن ريش الفراشة صار مشطاً لضفائرك .
- وأنا في الدنيا كمصباح صحراء الظلم لا نصيب لي في المحافل ولا مأوى لي في القصور .
- واحترقت أنفاس من هم على شاكلتك منذ فترة ، ولم تأت فراشة لتحرق جناحيها بالطواف حول ناري .
- وتتجلى مائة جلوه فى روح أمالى القديم ، لكن قلبى المتيم لن يترك هذا المجلس.
- من أين احتفظت بهذه النار المضيئة للعالم ؟ وعلمت الشجرة البائسة حرقة الكليم.

الشمـــع

- إن الموج الذى تبعثه النفس هو كرسالة الأجل وهو الموج الذى يزين شفتيك بالصوت .
- أنا أحترق والاحتراق مضمر فى طبيعتى ، وأنت مضيئة كى تتيم الفراشات بك .
- إن بضاعتي البكاء وهناك طوفان للدموع فى قلبى ، وأنت تنثر الندى حتى أصبحت مشهوراً فى محفل الورود .
- إن طرف صباحى ملئ بالورود من دم ليلى ، وأنت لا تعرف يومك من حاضرك .
- أنت مضئ ولكن الحرقة لا توجد فى داخلك ، وشعلتك كقنديل شقائق نعمان الصحراء .
- أسير غور قلبك : هل تفضل أن تلقب بالساقي ؟ إن مجلسك ظمآن وكأسك بدون صهباء .
- إن شعارك شئ ودستور ملتك شئ آخر ، ومرآتك ينتابها الخزي من دمامة وجهك .
- الكعبة بجوارك وأنت مفتون بمعبد الأصنام ، فإلى أي مدى يكون فكرك مشوشاً وشوقك غير مكترث .
- من المستحيل أن يظهر قيس فى مجلسك، فصحراؤك ضيقة ومحملك بدون ليلى
- أيها الدر المتلألئ يا ربيب حضن الموج ، إن بحرك غير عارف بلذة الطوفان .
- ما جدوى الغناء الآن بعد أن صارت روضتك خاوية على عروشها .
- إن شدوك ليس فى موضعه ونغمتك فى غير وقتها .
- لقد مضى من كانوا يتمتعون بذوق المشاهدة فما الفائدة لو حضرت الآن على وعد الظهور أمام الناس .
- ولقد قام عند المجلس من كانوا متعطشين لشرب الخمر ، أيها الساقى ما جدوى مجيئك بكأس الخمر .
- وا آسفاه ، لقد تشتت شمل مجلس الورود ، ما الفائدة لو جاءت رسالة نسيم الربيع للوردة .
- إن تقلب المحب من الألم صار جديراً بالنظر فى آخر الليل ، فماذا يحدث لو وقع أحد على السطح فى الصباح .
- لقد انطفأت الشعلة التى كانت غاية كل فراشة ، فماذا لو حضر الآن متيم الحرقة الكاملة .
- إن الورود لا تكترث سواء كان غناؤك حاراً أم لا ؟ والقافلة لا تشعر ، هل هذا صوت الجرس أم لا ؟
- حينما كنت شمعاً للمجلس كنت خالياً من الحرقة ، وصارت فراشاتك غريبة عن هذه اللذة .
- لقد كنت قادراً على تنسيقها فى رابطة الألفة ، فكيف ظلت حبات مسبحتك مبعثرة ؟
- لقد رحل شوقك غير مبال وانطوى فكر السماء ، ولم يعد فى مجلسك إلا المجانين لا الحكماء .
- لو لم توجد تلك الحرقة المحرقة للكبد ، أو الخمر المحرقة فما الفائدة لو ظلت الفراشات تحوم حول الشمع .
- حسناً فلو أنت الساقي فلمن ستقدمها ، لم يبق الآن شاربوا الخمر ولم تبق هناك حانات .
- إن الإبريق المحطم يبكي اليوم على الساقى الذى كان يدور بالكئوس حتى الأمس .
- اليوم أصبحت الصحارى القاحلة المثيرة للجنون فى صمت مطبق بينما ظلت ليلى ترقص وظل المفتونون بها .
- يا لعدم التوفيق ! لقد فقد متاع القافلة ، وفقدت القافلة الإحساس بهذه الخسارة .
- ومن عمرت الخرابات بصخبهم ، محيت مدنهم وتحول عمرانها إلى خرابات .
- والصلوات التى أقامت سطوة التوحيد تلك الصلوات صارت نذراً للبراهمة فى الهند .
- وبقدر الإلتزام بالقوانين تكون الحياة الأبدية فى الدنيا ، وحرية الأمواج أصبحت متاع العويل .
- والأصار التى كانت تتمنى هذا التجلى صارت يائسة من أذية النور الأيمن .
- وكانت آلاف البلابل تطير وتحلق فى الحديقة ، فماذا حل بها لكي تفضل البقاء فى العش ؟
- وكان ومض البرق فى أفق الفلك الفسيح يدعو للنظر .
- فلماذا تحول هذا البرق إلى ذيل المحصول ؟ ولماذا تطلب العيون الدامية المنة من الحديقة ؟ والنظرات لماذا تحولت أذيالها إلى حمرة الورود بسبب البكاء المتواصل ؟.
- إن ليل الغم يبشر بصبح العيد ، وشعاع الأمل يظهر فى ظلمة الليل .
- فأبشر يا حامل كأس خمر الحجاز ، فقد عاد شيوخك إلى رشدهم مرة أخرى بعد فترة .
- فقد كان نقد الذات هو ثمن خمر الأغيار ، حيث امتلأت خمارتك بهمهمة السكارى مرة أخرى .
- لقد تم إبطال سحر حسناوات الهند ، وجاء نظر سليمى برسالة الصباح .
- والصخب مستمر يطالب الساقى بالخمر المحلي ، لأن خمور الغرب قضت على رغبات القلب .
- فغرد فإن الوقت ليس وقت الصمت ، فالشمس تحمل الإبريق على كتفها بالقرب من سماء السحر
- ولتحترق بغم الآخرين ولتحرقهم بحرقتك كذلك ، لقد قلت لك كلاماً واضحاً ولديك أذن صاغية .
- قالوا إن فن الشعر جزء من الرسالة ، فألق على حفل الأمة رسالات الملاك (جبريل) .
- فلتستيقظ عيونك على وعد الحبيب وليحيا القلب من حرقة جوهر المتكلم .
- إن عادة الراحة الجسدية قد أغارت على همتك ، كنت كالبحر في الصحراء وكالنهر في الحديقة .

- طالما كنت محافظاً على صدقك كان هناك اتحاد ، وعندما تركت الوردة اضطربت قافلة الرائحة .
- إن الدنيا تلقن القطرة أسرار الحياة ، فهى أحياناً تصبح جوهرة وأحياناً تصير ندى أو دموعا .
- فابحث عنها واحصل عليها من أى مكان فهى ثروة كبيرة ، ما معنى الحياة عندما يصير القلب بعيداً عن مكانه .
- إن كرامتك الباقية كانت رهناً لإتحاد الملة ، وحينما تفرق هذا الإتحاد نلت الخزى فى الدنيا .
- إن الفرد ينال القوة من خلال انتسابه للأمة ولا يحصل عليها منفرداً .
- فالموج يكون موجاً في النهر وخارج النهرلا يصبح موجاً .
- فلتبق على الحب مستوراً في ثنايا القلب ، أى لا تخجل خمرك مثل الإبريق .
- ولتنصب خيامك فى وادى سيناء مثل الكليم ، ولتجعل شعلة البحث تغير على منزلك .
- ولتعرف الشمع بعضاً من عاقبة الظلم واستخدم رماد الفراشة فى تعمير السحر .
- لو عندك عزة وإباء ما تحملت منة الساقى ، ولتقلب كأسك فى وسط النهر مثل الحباب .
- لم يبق أي وجد لا فى الجبل القديم ولا فى الصحراء العتيقة ، جنونك جديد فلتأت له بخرابة جديدة .
- عندما يمرغ نصيبك فى التراب ، فاخلق العصا من هذا التمرغ فى التراب مثل الحبة .
- وابن العش على هذا الفرع العتيق ، واجعل أهل الروضة شهداء أنغام النشوء .
- وعليك أن تتبع البلبل فى هذه الروضة أو تصبح تلميذاً للوردة ، أو تصبح أنينا أو لا تخرج نغمة .
- لماذا أنت فى الروضة بلا صوت مثل الندى ؟ افتح شفتيك فأنت شدو قيثارة العالم .
- اعرف بعضاً من حقيقتك أيها الفلاح ، أنت البذرة وأنت المزرعة ، أنت المطر وأنت المحصول .
- آه أى شئ تبحث عنه جعلك شريداً ، أنت الطريق وأنت المسافر ، أنت المرشد وأنت المنزل .
- هل يخفق قلبك خوفاً من التفكير فى الطوفان ، رغم أنك البحر والسفينة والساحل والربان .
- تعال وشاهد حارة الذين شقوا جيوبه ، فأنت قيس وأنت ليلى وأنت الصحراء وأنت المحمل .
- يا للسذاجة ! أنت فى حاجة إلى ساقي ، مع أنك أنت الخمر وأنت الإبريق وأنت الساقي وأنت المجلس .
- فاضرم النار فى كل شئ غير الله ، فلم تخشى الباطل ، أزهق الباطل أيضاً .
- أيها الساذج أنت جوهر مرآة الأيام ، أنت آخر رسائل الله فى هذا الزمان .
- أيها الغافل عليك أن تعلم حقيقتك ، أنت قطرة ولكنك كالبحر الذى لا نهاية له .
- كيف صرت أسير طلسم الشعور بالنقص ، انظر إلى أبهة الطوفان فهى مختفية فى ذاتك .
- وصدرك يحتوي على رسالته الأثيرة ، التى تظهر فى نظام الدهر وتختفى فيه .
- والتى تسخر أقاليم العالم السبعة بلا سيف أو سلاح ، ولو أدركت هذا فإن ذلك المتاع عندك .
- يا من كانت الغفلة ديدنه ! هل تذكر ذلك العهد الذى يشهد عليه حتى الآن سكوت جبل فاران .
- أيها الجاهل أنت الذى قنعت بعدة براعم وإلا ففى الروضة علاج لضيق الذيل .
- إن كيفية القلب ظاهرة فى حجاب الكلام ، مثل الخمر فى الإبريق فهى مستورة أيضاً وعارية أيضاً .
- لقد نفثت فى نار شدوي ، وهذا هو متاع حياتي كذلك .
- انظر إلى سر نار الجوى هذا فى صدرى، وانظر إلى جلوة القدرة فى مرآة قلبي
- إن مرآة السماء محتجبة من نور السحر ، وستختفي ظلمة الليل كالزئبق .
- وكم سيكون رائعاً عندما يترنم نسيم الربيع ، وتتحول النكهة الخفية إلى نغمة برعم .
- وسيلتقى مشقو قوا الصدر فى الحديقة مع مشقوقي الصدر الآخرين ، وسيصبح نسيم الصبا رفيقاً لمحفل الورود .
- وسيولد الندى أنغامى المحرقة ..المؤثرة ، وستعرف جميع براعم الروضة معنى الألم .
- وسترى مآل قوة سير النهر ، وسيصير الموج العاتى عقبة فى طريقه .
- وسيذكر القلوب برسالة السجود ، ويُعفَّر الجبين بتراب الحرم ثانية .
- وستغرد الطيور لسماع أنين الصياد ، وستخضب عباءة البرعم بدماء قاطف الورود .
- إن الذى تراه العين لا يمكن أن يظهر على الشفاه ، وأنا فى ذهول الدهشة مما سيحدث للعالم .
- وفى النهاية سيفر الليل أمام جلوة الشمس ، وستعمر هذه الروضة بنغمة التوحيد.

المسلـــــم

(يونيو ١٩١٢ م)

- إن كل نفس من أنفاسك يا إقبال مستور فى آهاتك ، وصدرك المحترق عامر بالأنين .
- ونغمة الأمل غير ملموسة فى قيثارة قلبك ، ولا ندرك أن ليلاك ليست فى محملك .
- إن أذنك تبحث عن صوت الغناء القديم ، ولا يكترث قلبك بصخب الحاضر .
- ولا يرغب أصدقاؤنا فى الروضة فى سماع قصة الوردة ، ولا يريد أهل المحفل سماع رسالتك القديمة .
- فلتصمتى يا أجراس القافلة المتهادية ، إن رنينك يبعث على اليأس فلتتوقفى .
- فلا يمكن إحياء ذلك المحفل القديم مرة أخرى ، ولا يستطيع الشمع أن ينير ليلة الأمس .
- يا جليسي أنا مسلم حامل للتوحيد ، وشاهد عدل على هذه الحقيقة

التى تولد الحرارة في نبض الموجودات ، وتبعث الجسارة في خيال المسلم .

- ومن أجل هذه الحقيقة خلق الله العلم ، وخلقنى لكي أحافظ عليها.
- وصرت أنا المهدد لعبادة الباطل على مر الزمان والحقيقة أنني أنا المحافظ على ناموس الحياة .
- حياتي قميص العرى لهذا العالم ، ونهايتى خزى للبشر .
- إن المسلم هو الكوكب المضئ لنصيب العالم الذى يخجل السحر أمام لمعانه .
- أسرار الحياة واضحة أمام عيني ، ولا يستطيع أحد القول بأننى يائس من الحياة
- ولا يمكن لمشهد الغم العابر أن يخيفني ، واعتمد على مقررات أمتي .
- وأيامي متحررة من عناصر اليأس ، وشراسة المعركة تنبئ بالنصر الكمال .
- أقول صدقاً لقد وضعت العهد الماضى أمام عيني ، وأنا أقص الحكاية القديمة على أهل المحفل .
- إن ذكرى العهد السالف كالإكسير لترابي ، إنني أرى الماضى فى مرآة الغد.

بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم

- عندما تراكمت علىَّ أحداث الزمن ، حزمت أمتعة سفري وتركت هذه الدنيا .
- ومع أننى عشت فى قيود الليل والنهار لكنى لم أتآلف مع هذا العالم .
- فاصطحبتني الملائكة إلى مجلس الرسول ، وأتوا بي إلى رسول رحمة العالمين
- قال الرسول : يا عندليب روضة الحجاز ، إن البراعم كلها تذوب من حرارة صوتك .
- إن قلبك مملوء دائماً بكأس الولاء ، وسقوطك مبعث غيرة سجود الطاعة .
- وصعودك من حضيض الدنيا إلى علياء السماء فقد علمتك الملائكة الطيران المرتفع .
- وقد خرجت علينا من روضة الدنيا ذوات الروائح والألوان ، فأي هدية أتيت بها لنا .
- قال الرسول : لن تجد الراحة في الدنيا، ولن تنال الحياة التى نبحث عنها .
- ويوجد آلاف الورود وشقائق النعمان في رياض الحياة ، لكن لا يوجد فيها البرعم الذى تتضوع منه رائحة الوفاء .
- ورغم ذلك أحضرت لك هدية قنينة ، فيها شئ لا يوجد فى الجنة .
- تومض منها كرامة أمتك ، وبداخلها دماء شهداء طرابلس .

مستشفـــى الحجـــاز

- قال أحد وجهاء القوم لإقبال : ستفتح مستشفى الحجاز فى جدة .
- إن كل ذرة من ذرات ترابك تضطرب ، عندما نسمع من أحد حكاية الحجاز .
- فارفع يد الجنون ناحية جيبك ، فإنك مشهور فى الدنيا بمجنون الحجاز .

- ويجب أنه تكون دار الشفاه حول البطحاء (مكة) ويجب أنه يكون نبض المريض بيد عيسى .
- قلت إن الحياة موجودة فى حجب الموت ، مثل الحقيقة فإنها مستترة فى المجاز
- وما ناله العشاق من مرارة الأجل ، لم ينله الخضر فى خمر العمر الطويل .
- فامنح للآخرين رسالة الحياة ، إنني أبحث عن الموت فى أرض الحجاز .
- هل جئت ومعك رسالة الشفاء ؟ إن أصحاب الألم لا يحتاجون الدواء من الطبيب

جـــواب الشكـــوى [1]

- إن الحديث الذي يخرج من القلب مؤثر ، فرغم أنه بلا جناح لكنه يستطيع الطيران .
- وهو قدسي الأصل يرنو إلى الرفعة ، نهض من التراب وصعد إلى الفلك .
- كأن عشقي مثير للفتنة وماهر ، بينما شق أنينى الباسل السماء .
- وبعد أن سمع شيخ الفلك هذا قال : أيوجد أحد فى هذا المكان ، قالت الكواكب السيارة هناك أحد عند العرش .
- وكأن القمر يقول : لا .. إنه من أهل الأرض ، وقالت النجوم : هناك من يختفى هنا .
- وإن كان هناك أحد قد فهم شكواي فهو رضوان ، فقد أدرك أننى الإنسان الذى أخرج من الجنة .
- وكانت الملائكة في حيرة من أمرها فما هذا الصوت ، كما لم يكتشف أهل العرش هذا السر .
- فهل يمكن للإنسان بسعيه الدؤوب أن يصل إلى العرش ، وهل تعلمت قبضة التراب التحليق كذلك ؟
- أنىّ لسكان الأرض أن يغلقوا عن هذه الأصول ؟ وكيف يصبح أهل الأرض بهذه الوقاحة والمجون .
- لقد بلغت به الوقاحة مبلغاً حتى أنه غاضب من الله ، فهل هو آدم الذى سجدت له الملائكة ؟
- هو عارف بالكيف وعالم برموز الكم ، لكنه ليس محرماً لأسرار العجز والخضوع .
- الإنسان فخور بقوة حديثه ، لكنه غافل لا يحسن طريقة الحوار .
- فجاء صوت يقول : إن قصتك مثيرة للحزن ، وقد امتلأت كؤوسك بالعبرات الحارة .
- ودوت صرختك الثملة فى أرجاء السماء ، إلى أي مدى يكون قلبك المتيم ولسانك السليط .
- هلا جعلت شكر شكواك بحسن الأداء ، وجعلت العباد يتجاذبون أطراف الحديث مع الله .
- نحن نميل إلى الكرم وليس هناك من سائل ، فمن ذا الذى نرشده إلى المنزل ليس هناك عابر السبيل .
- التربية والسلوك أمرعام لكن جوهر الإستعداد غير موجود ، وهذا التراب ليس هو الذى خلق منه آدم .
- ولو هناك شخص جدير لقدرناه منازله ، ومنحنا العالم الجديد للباحثين عنه .
- الأيدى واهنة والقلوب تعودت على الإلحاد ، وصارت أمتي مبعثاً للخزي بالنسبة للرسول .
- لقد رحل من حطموا الأصنام وبقي من ينحتون الأوثان ، كان الأب كإبراهيم وأصبح الأبناء كآزر .
- إن شاربو الخمر جدد ، والخمر جديدة ، والدنان جديدة كذلك ، حرم الكعبة جديد والأصنام جديدة وأنتم جدد .
- كانت أيام خوالى مضت ، كانت هى متاع الدلال ، وكانت دلال موسم زهرة اقحوان الصحراء .
- من كان مسلماً كان متيماً فى الله ، وكنت أحياناً محبوبكم الذى فى كل مكان .
- الآن فى مكان ما تعهدوا بعهد العبودية ، وساندوا أمة محمد المرسل .
- لقد أصبح الاستيقاظ فى الصباح ثقيلاً عليكم ، متى تحبوننى ! والنوم محبب لديكم ؟!.
- وصارت قيود رمضان ثقيلة على طبيعتكم المتحررة ، قولوا بالله عليكم هل هذا عهد الوفاء .
- الناس بدينهم ، فلو لم يكن الدين ما كنتم أنتم ، ولو لم تكن الجاذبية ما كان مجلس النجوم .
- أنتم لا تحذقون أي فن فى الدنيا ، وأنتم أمة لا تكترث بعشها .
- وأنتم كالمحصول الذي تستريح فيه الصواعق ، وأنتم تكتسبون من مدافن الأسلاف .
- وتفخرون بتجارة القبور ، فهلا ستبيعون الأصنام الحجرية التى ستجدونها ؟
- فمن الذى محا الباطل من صفحة الدهر ؟ومن الذى حرر الإنسان من العبودية ؟
- ومن الذي عمر كعبتي بجبينه ؟ ومن الذى ضم قرآني لصدره ؟
- هم الذين كانت آباؤهم كذا وكذا ، لكن من أنتم ؟ إنكم تعقدون يداً على يد فى انتظار الغد .
- ماذا قال ؟ كل مسلم لديه الوعد بالحور فقط ، فالشكوى ليست فى محلها وتحتاج إلى الشعور .

---

[1] ترجم الصاوى شعلان هذه القصيدة شعراً فى كتابه إيوان إقبال . (المترجم)

- إن العدل هو دستور فاطر الحياة منذ الأزل ، ولو قبل الكافر شريعة الإسلام فإنه ينال الحور والقصور .
- فليس من بينكم أحد يهوى الحور ، وتجلي الطور موجود لكن موسى غير موجود .
- المكسب لهؤلاء القوم واحد والخسارة واحدة ، ونبي الجميع واحد والدين والإيمان واحد .
- والحرم الطاهر واحد ، والله واحد ، والقرآن واحد ، وليس أمراً صعباً أن يتوحد المسلمون .
- فالفرقة بينكم فى مكان والأهواء الشخصية فى آخر ، فهل هذه الصفات تؤدى إلى الخلود فى العالم ؟
- من الذى ترك شريعة الرسول المختار ؟ ومن الذى جعل مسايرة العصر معياراً للعمل ؟
- ومن الذى اكتحلت أعينهم بشعار الأغيار ؟ ومن هم الذين تبرموا من السير على خطى الأجداد ؟
- لا توجد فى قلوبهم حرقة ، ولا فى أرواحهم مشاعر .
- ولم يبق عندكم أهمية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم .
- الذين يذهبون إلى المساجد ويعتكفون فيها هم الفقراء ، ولا يستسيغ معاناة الصوم إلا المساكين .
- ولو يوجد من يردد سمنا فهو الفقير ، ولا أحد منكم ارتدى الحجاب غير المرأة الفقيرة .
- الأغنياء غافلون عنا بسبب نشوة المال والثروة والملة البيضاء تحيا بأنفاس الفقراء .
- لم يعد واعظ القوم ناضج الفكر ، لم يعد لديه بريق الطبع ولاحماس الخطابة .
- كل ما بقي لديكم هو طريقة رفع الآذان وقد ذهبت عنكم روح بلال ، بقيت الفلسفة وغابت عنكم تعاليم الغزالى ، والمساجد يرثى لحالها من عدم وجود مصلين ، ولم يعد بينكم أصحاب الأوصاف الحجازية .
- وهناك ضوضاء لأن المسلمين انعدموا فى الدنيا ، ونحن نقول هل المسلم موجود فى مكان ؟
- إن وضعكم وحالكم كالنصارى وحضارتكم كحضارة الهندوس ، وصار اليهودي يتوارى خجلاً من رؤية المسلم .
- فيكم السيد والميرزا والأفغان ، أنتم كل شئ ، لكن هل أنتم مسلمون ؟
- كان الصدق الواثق روح خطاب المسلم ، وكان العدل أساس قوته فقد كان طاهراً من المحاباة .
- وكانت شجرة طبيعة المسلم ترتوى من الحياء ، كانت حياته فى الشجاعة تفوق الإدراك .
- وكانت طراوة صهبائه من حرقة ذاته ، وتجرده من الذاتية كخلو كأسه من الخمر .
- كان كل مسلم كالمشرط لوريد الباطل ، وكان العمل هو الجوهر فى مرآة وجوده .
- كان يعتمد على قوة ساعده ، أنتم تخافون الموت وهم لا يخشون إلا الله .
- لو لم يعرف الابن علم أبيه ، فكيف يكون جديراً بميراث الأب ؟
- فالجميع غارقون فى نشوة الراحة الجسدية ، فهل أنتم مسلمون ؟ وهل هذا أسلوب المسلمين .
- لديكم فقر حيدر وليس لديكم غنى عثمان ، أى صلات روحية بينكم وبين الأسلاف .
- كانوا مسلمين أعزاء فى عصرهم ، أما أنتم فصرتم أذلاء بسبب ترككم للقرآن .
- أنتم غاضبون فيما بينكم ، وهم كانوا رحماء فيما بينهم ، أنتم مخطئون وتبحثون عن الخطأ وهم كرماء يخفون الخطأ .
- الجميع يريدون أن يقيموا فى أوج الثريا ، لكن يجب أن يخلق لهم أولاً قلب مسلم .
- فصار لهم عرش ملك الصين وكرسيه كذلك ، هكذا تتكلمون .. فهل عندكم مثل ما لهم من حمية ؟
- شيمكم قتل النفس وشيمهم الغيرة والإباء ، أنتم تهربون من الأخوة وهم يضحون من أجل الأخوة .
- كلكم تتكلمون وكلهم يعملون ، أنتم تخافون من برعم واحد وهم كانوا يستحوذون على البستان .
- وذكراهم تتناقلها الشعوب حتى الآن ، وصدقهم نقش على صفحة الحياة .
- تنيرون أفق القوم كالنجوم ، وتحولتم إلى براهمة فى حب الصنم الهندى .
- وهجرتم العش شوقاً إلى الطيران ، وصار الشباب بلا عمل وهو يلقى باللائمة على الدين .
- وحررتهم حضارتهم من كل قيد ، فأخرجتهم من الكعبة وجعلتهم يعمرون معبد الأصنام .
- إن قيس المجنون لا يطيق الوحدة فى الصحراء ، فقد تعود حياة المدينة ولم يعد يطوي الصحراء .
- إنه مجنون سواء قطن المدينة أو غيرها ، لكن من الضرورى ألا يبقى الحجاب على وجه ليلى .
- وهو لا يشتكى من الجور ولا من الظلم ، فالعشق متحرر فلماذا لا يكون الحسن متحررا أيضاً ؟
- العهد الجديد كصاعقة تشعل النار فى كل المحصول ، ولا تأمن منها أى صحراء أو أى حديقة .
- فالأقوام القديمة هى وقود نار الحديقة ، فقد اشتعلت النار فى قميص خاتم الرسل
- فلو ظهر اليوم إيمان إبراهيم عليه السلام ، فإن النار تستطيع أن تتحول إلى حديقة .
- لا تقنط أيها البستان بعد رؤية لون الورد فى الحديقة ، فالفروع ستتلألأ من كوكب البرعم .
- وتخلو الروضة من القش والحشائش الصفراء ، وتبدو حمرة دماء الشهداء على الأقحوان .
- وانظر إلى الفلك فقد صار لونه مشرباً باللون العنابى ، نتيجة شروق الشمس من الأفق .
- وهناك أمم تقطف الثمر فى روضة الحياة ، وأخرى حرمت من الثمر عندما أدركها الخريف .
- وهناك آلاف النخيل الذابل والمورق ، وهناك آلاف منها مختفية حتى الآن فى بطن الحديقة .

- أما نخل الإسلام فهو نموذج للنخل الوارث ، لأنه ثمرة الحديقة التى مر على تنسيقها مئات القرون .
- إن طرف ذيلك طاهر من تراب الوطن ، أنت يوسف وكل مصر كنعانك .
- ولن يعتر قافلتك الخراب قط ، ولا متاع لك إلا صلصلة الجرس .
- أنت نخل شمع الحياة وفى شعلته دخان ريشتك ، وقد كانت الحرقة هى نهاية ظلال تفكيرك .
- أنت لن تزول بزوال إيران ، كما أن نشوة الخمر لا ترتبط بالكأس .
- هذا ظاهر من قصص هجوم التتار ، حيث حصلت الكعبة على حراسها من معبد الأصنام .
- أنت الدعامة الرئيسية لسفينة الحق فى هذا الزمان ، فالعصر الجديد ليل وأنت كالنجم الآفل .
- أنت جلبة الهجوم البلغارى ، ورسالة اليقظة للغافلين .
- وأنت تعتبر هذا المتاع بدمى القلب ، لكنه امتحان لإيثارك وإعزازك بنفسك .
- فلماذا أنت خائف من صهيل فرس الأعداء إن نفس الأعداء لا يمكنه أن يطفئ نور الحق .
- حقيقتك غائبة عن أعين الأقوام ، ومحفل الحياة يحتاج إليك الآن .
- والعصر يستمد الحياة من حرارتك ، وخلافتك هى كوكب الحظ للدنيا .
- أين الفرصة السانحة فالعمل لم ينجز بعد ، ولم يكتمل نور التوحيد حتى الآن .
- أنت مثل الأريج الكامن فى البرعم فلتضوع ، وليكن مكانك على أكتاف نسيم الروضة .
- أنت قليل المتاع فلتتحول من ذرات إلى صحراء ، ولتنقلب من نغمة الموج إلى هدير الطوفان .
- ولتسمو بكل ما فى الحضيض بقوة العشق ، وأضئ العالم باسم محمد صلى الله عليه وسلم .
- إذا لم توجد الورود ما وجد ترنم البلبل ، ولما وجدت ابتسامة البراعم فى روضة الدهر .
- إذا لم يوجد هذا الساقى لما وجد الخمر ولا الدن ، وما كنت أنت ولا كان مجلس التوحيد فى الدنيا .
- وخيمة الأفلاك منصوبة باسمه ، وحرارة نبض الحياة معدة باسمه .
- وهو فى الصحراء وفى سفح الجبل وفى الوادي ، وفى البحر وفى حضن الموج وفى الطوفان .
- وهو كائن فى مدن الصين وصحراء مراكش ، وكامن فى إيمان المسلم .
- وستنظر أعين الشعوب إلى هذا المشهد للأبد ، وترى رفعة شأن "رفعنا لك ذكرك" [١] .
- إن إنسان عين الأرض هو الدنيا السوداء ، والدنيا هى التى قامت بتربية شهدائك
- وهذه الأرض الهلالية هي التى أبدعها دفء العشق ويسميها العشاق بالدنيا "البلالية" * .
- وتشتعل الحرارة بهذا الاسم مثل الزئبق ، وهي تغوص فى النور مثل نجوم العين .
- العقل هو رمحك والعشق هو سيفك ، فيا درويشي إن خلافتك فتحت العالم .
- وتكبيرك بمثابة النار لما هو سوى الله ، فلو تكن مسلماً فإن القدر يصبح من تدبيرك .
- ولو صرت وفياً لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن معك ، وسيكون معك اللوح والقلم في هذه الدنيا .

الساقـــــى

- أيها الساقى إن الجميع يمكنهم أن يسقطوا من سكر الشراب ، ولكن من الأفضل أن تمسك يد الذين سقطوا .
- والقدماء الذين كانوا يعاقرون الصهباء قد هموا بالرحيل ، فلتأت أيها الساقى بماء الحياة السرمدية من أي مكان .
- لقد مرت ليلتك في بث الضوضاء ، فاذكر اسم الله أيها الساقى فقد اقترب الفجر

التعليـــم ونتائجـــه

(تضمين على شعر ملا عرشى) [٢]

---

[1] إشارة إلى ما ورد في سورة الانشراح . (المترجم)

* نسبة إلى بلال . (المترجم)

[2] الشاعر ملاعرشى : شاعر إيرانى اسمه طهماسب قلى بك . (المترجم)

- نحن سعداء لرقي الشباب ، إلا أن العويل يصدر من الشفاة المبتسمة .
- وقد أدركنا أن التعليم سيأتى بالأزهار ، لكننا نعلم أن الإلحاد سيأتى ملازماً له .
- لقد تجلت شيرين فى منزل برويز ، لكنها أتت معها بفأس فرهاد كذلك .
- علينا أن نأتى بأيدينا ببذور جديدة ونبذرها من جديد ، فالذى زرعناه لا نقدر على حصاده من الخجل .

التقـــرب إلى السلطـــان

- لا يمكن محو الفوارق بين الحاكم والمحكوم ، وهل هناك مجال للمتسول أن يزاحم السلطان ؟
- إن كمال العبودية فى هذا العالم هو عبادة السلطان ، فالبس عباءة ملونه إرضاء للسلطان .
- لكن عندما يكون الهدف هو كسب رضا الحاكم ، يلقب المرء بلقب محب المنصب وبائع القوم .
- فهناك آلاف المشكلات فى طريقة العمل القديم ، بينما حضن الفكر يخلو من الأصول الحديثة .
- ما أعظم أن يحيا الإنسان تحت هذه السماء ، وفى فمه الآلاف من أساليب الكلام وشفتاه صامتتان .
- فهذه هى أصول السكون فى الحياة ، "فلا تصرخ يا حافظ فإن المتسول يسكن فى الزاوية" .
- فإذا ملت إلى العويل فابدأ باسم الله ، وخذ الخمر صافية واشربها على أنغام العود .
- ولتشارك فى مجلس الأمير والوزير والسلطان ، ولتحطم مرآة العقل بحجر الهوس .
- وعليك أن تسمع رسالة مرشد شيرازى * فهي السر المكنون فى منزل الضمير العليم .
- إن رأى الملك السديد بمثابة نور التجلي للمكان ، وعندما تطلب التقرب منه فاستمع إليه بصفاء نية .

الشاعـــــر

- إن الغناء الطروب للنهر يأتى من الجبل ، إن شرب الخمر المعتقة يكون من حانة الربيع .
- واسمع قليلاً لرسالة السكران ، إن الحي الخالد هو الذى لا يقر له قرار فى أي عمل .
- فكيف تتجول ابنة السحاب المدللة في الأودية ، إنها تلعب لعبة العشق مع خضرة المراعي .
- وتأخذ كأس الشراب من حانة الجبل ، وتعلو وتهبط لكي تسقي الحقول .
- وعندما يقول الشاعر المدلل قولاً صادقاً ، تخضر مزرعة الحياة من فيضه .
- إن عظمة الخليل تبدو من كلامه ، عندئذ تجعل أمته الآذرية شعاراً لهم .
- فكلامه وصفته للحياة السرمدية لأهل الأرض ، وكلامه قد تربى على دم الكبد .

- فإذا لم يكن نهر خمر الشعر فى روضة الدهر ، فلم يكن هناك وردة ولا برعم ولا حضرة ولا بستاناً .

بشـــرى الصبـــاح

(١٩١٢م)

- حينما يتنفس الصبح من المشرق مصطبحا الضجيج فى ذيله ، يفر صمت السفر من منزل الوجود .
- ويتحطم سكون آخر محفل القدرة ، ويسفر عن كل شئ دليلاً على حياته .
- وتصدح الطيور عندما تجد رسالة الحياة ، وترتدي الطيور فى الحديقة ملابس إحرام الحياة .
- فلتوقظ المسلم النائم ولتحدث أنت ضجيجاً ، وقد تلألأ الأفق فلتنشط أنت كذلك .

---

* يشير إلى حافظ الشيرازى .

- ولتطو الطريق فى العالم الفسيح مثل الشميس ، حتى تزول بقعة السحاب من ذيل السماء .
- وسل خنجر الشعاع ثم كافح بحماس وعزم ، ولقن ظلمة الباطل آداب الفرار .
- أنت النور كله وعُريك هو الجمال ، ومن اللازم بعد أن تتعر أن تنثر نفسك .
- فانظر وكن برقاً لعين الخفاش ، يا قلب الكون والمكان أفش السر المكنون .

دعـــــاء

- اللهم امنح قلب المسلم الأمنية الحية ، ولتبث الحرارة فى القلب والقلق فى الروح
- ولتضئ كل ذرة من ذرات وادى فاران مرة ثانية ، ولتمنحه شوق رؤية المشهد وذوق الطلب .
- ولتعط المحروم من المنظر العين المبصرة ، ولتعرض كل ما رأيته للآخرين .
- ولترشد الغزال الراشد إلى طريق الحرم مرة أخرى ، ولتمنح رحابة الصحراء لمن تعود العيش بالمدينة .
- ولتخلق ضجيج يوم القيامة فى هذا القلب الخرب ، ولتمنح شاهد ليلى هذا المحمل الخالى ثانية .
- وتمنح كل قلب مضطرب فى ظلمة هذا العهد ، حرقة الحب التى يخجل منها القمر .
- ولتعط الأهداف سمواً تزاحم به الثريا ، ولتمنح الساحل الإباء ولتمنح النهر الحرية .
- وليكن حبا بلا تلوث وصداقة بلا خوف ، وأضئ الصدور وأعط القلب صورة الأبريق .
- ولتمنحني الإحساس بآثار المصائب ، والتفكير فى الغد أثناء ضجيج اليوم .
- أنا البلبل النائح في حديقة مهجورة ، أسألك التأثير وأنعم على المحتاج يا رب .

رداً على طلب قرض الشعر فى العيد

- كانت ورقة صفراء ذابلة في حديقة شالامار [1] تقول : إنقضى موسم الورود الذى أنا محرم سره .
- ولم تدوسني أقدام زوار الحديقة ، فأنا ذكرى غصن عشّهم .
- لقد جعل كلام هذه الوريقة القلب يضطرب ، فدلفت إلى الروضة وقد تملكنى الحزن على الربيع .
- إن ذكرى فصل الربيع تبكيني فى فصل الخريف ، فكيف أسعد بك يا عيد وأنا فى حداد ؟
- لقد هجرت حانات العهد القديم ، وأنا ذكرى محبي الخمر القدماء .
- إن هلال العيد يسخر منا ويتندر بنا ، وهو يلقى علينا رسالة السعادة والفرح .
-

فاطمة بنت عبد الله

(الفتاة العربية "الليبية" التى كانت تسقى المجاهدين فى حرب طرابلس ثم استشهدت)

(١٩١٢ م)

- يا فاطمة أنت عزة هذه الأمة المرحومة ، وكل ذرة من ذرات ترابك معصومة من الخطأ .
- يا حورية الصحراء لقد كانت السعادة من قسمتك ، وكان من نصيبك سقاية المجاهدين فى سبيل الدين .
- هذا جهاد فى سبيل الله بدون سيف أو رمح ، ما أعظم شجاعتك وشوق الشهادة لديك .
- لقد كنت البرعم في هذه الحديقة التى تبدو فيها مناظر الخريف ، يا رب أهذه الجذوة كانت فى رمادنا !
- توجد فى صحرائنا كثير من الغزلان المختفية حتى الآن ، وهناك صواعق كامنة فى السحب الممطرة .
- يا فاطمة إن العين تسكب الدمع مثل الندى حزناً عليك ، ففى أنات مأتمك نغمات السعادة .

---

[1] حديقة شالامار من الحدائق المغولية الرائعة التى أنشأها شاهجهان فى مدينة لاهور . (المترجم)

- كم يثير رقص ترابك الانتعاش ، وكل ذرات ترابك تفيض بحرقة الحياة .
- وكم من الضجيج فى قبرك الصامت يعلن أن شعباً جديداً يتربى في أحضانه .
- ولا أدري ماذا عن هذه الأهداف العريضة ؟ إننى أشاهد هذه الأهداف تظهر من حظ هذا الضريح .
- وقد ظهرت نجوماً جديدة فى فضاء السماء ، وأمواج نورها غير مختفية على عين الإنسان .
- فقد لاحت الآن من بيت الأيام المظلمة ، لأن ضوءها لا يعرف قيود الصباح والمساء .
- فى لمعانها الطريقتان القديمة والحديثة ، وفيها كذلك شعاع نجم حظك (١) .

النـــدى والنجـــوم

- ذات مساء قالت النجوم للندى : لقد تيسر لك رؤية المشاهد الجديدة كل صباح .
- ومن يعلم كم من العوالم رأيت ؟ وكم رأيت من آثار الأمم السابقة ؟
- وقد سمعت الزهرة خبراً من دولة ما ، بأن هناك عالماً للإنسان بعيداً جداً عن الفلك .
- فاحك لنا قصة هذه الدولة العجيبة ، التى يترنم القمر فى حبها بالأغانى .
- أيتها النجوم لا تسألي عن روضة العالم ، فهي ليست روضة بل هي موطن الآهات والعويل .
- فلا يهب نسيم الصبا إلا ليبتعد ، ويتفتح البرعم المسكين من أجل الذبول .
- ماذا أقول لكم عن البرعم الذي يضئ الروضة ، هذا البرعم كالشعلة الصغيرة التى بلا حرقة .
- فلا يمكن للوردة أن تسمع صوت عويل البلبل ، ولا تستطيع أن تلتقط اللؤلؤ من ذيلي .
- ومما يثير السخط أن هذه الطيور المغردة أسيرة ، وما يبعث على الأسى أن الشوك ينبت تحت ظل الورد .
- وعين النرجس المريضة مبللة بالدموع كل وقت ، القلب يهفو إلى المشهد والعين محرومة من الرؤية .
- أما شجرة الصفصاف فهي محروقة القلب من البكاء الحار ، وهي حبيسة رغم أنها بالشجرة الحرة .
- والنجوم هي شرر الآهات على لسان الإنسان ، وأنا بكاء الفلك على لسان الحديقة .
- إن طواف القمر حول الأرض هو جهل ، فهو يعتقد أن هناك علاجاً لحرقة الكبد .
- وأساس بناء هذا العالم على الهواء ، وهو صورة العويل على قرطاس الفضاء .

محاصـــرة أدرنـــه (١)

- حينما نشبت معركة الحق والباطل فى أوربا ، أجبر الحق على استخدام الخنجر
- وحلق غبار الصليب حول القمر ، وحوصر شكري (٢) فى أدرنه .
- ونفدت ذخيرة جنود المسلمين ، واحتجب وجه الأمل عن العيون .
- وفى النهاية صارت القوانين العسكرية تحكم المدينة ، بأمر القائد العسكرى التركى .
- ونفد جميع عتاد الجيش وعدته ، وصار الشاهين يتسول حبة العصفور .
- ولكن عندما علم فقيه المدينة بهذا الأمر ، تحمس وصار كصاعقة جبل الطور .
- وقال إن مال الذميين حرام على جيش المسلمين ، واشتهرت هذه الفتوى فى المدينة بأسرها .
- فلم تمتد يد الجيش إلى مال اليهود والنصارى ، واضطر المسلم أن ينفذ أمر الله

---

[1] ترجم الصادى شعلان هذه القطعة شعراً فى كتابه "إيوان إقبال" . (المترجم)

[1]أ درنه مدينة تركية احتلتها بلغاريا أثناء حرب البلقان ١٩١٣م وحررتها تركيا عام ١٩٢٣م(المترجم)

[2] شكرى باشا هو قائد جيش الترك‌n فى أدرنه . (المترجم)

غـــلام قـــادر روهيلـــه (٣)

- كم كان روهيلة ظالماً وربيباً للحقد والجفاء ، فقد سمل عيني الملك التيمورى بنصل الخنجر .
- فقد أصدر هذا الظالم أمراً بأن يرقص أهل الحرم ، ولم تكن طريقة الظلم هذه بأقل من محنة يوم الحشر .
- فهل كان ممكناً أن تنفذ حسناوات الحرم الملكى ، هذا الفرمان المجحف .
- وآ اسفاه ! فقد جعلهن متاع الطرف ، وقد كان حسنهن محجوب عن أعين الشمس والقمر والنجوم .
- كانت أقدامهن مجبرة على الحركة وقلوبهن الرقيقة ترتعد ، وكانت أنهار الدماء الجارية تنهمر من العين .
- وظل يجيل النظر لفترة وجيزة ، تبرم قليلاً ثم حرر رأسه من حمل الخوذة .
- وسحب سيفه المسلوك القاذف للشرر من غمده ، ليلقن من جوهره درساً فى اللمعان .
- ووضع الخنجر أمامه وتمدد بعد أن فكر قليلاً ، وكان النعاس يغالب عيونه الحمراء .
- وأطفأ ماء النوم نار عيونه المنتفخة ، وكان نظر الظالم قد شعر بالخجل من هذا المنظر المؤثر .
- ثم هب وبدأ الحديث مع الحرم التيمورى فقال : يجب ألا تشتكين فهذا بعض ما قدر لكن .
- لقد كان نومي على المسند تصنعاً وتكلفاً ، لأن الغفلة لا تناسب العسكر المحاربين .
- كان الهدف من هذا (الخداع) أن تعتقد ، إحدى بنات تيمور أننى غافل وتقتلنى بخنجرى .
- لكني فى النهاية أكشف هذا السر إلى العالم أجمع : إن ما يسمى بالحمية قد رحل من البيت التيمرى .

حــــوار

- قال طائر أسير لطائر حر طليق يحلق فى الفضاء لو أنك تمتلك جناحا أليس لي جناح مثلك أيضاً ؟
- ولو أنك ماهر فى الطيران فأنا أيضاً ماهر فى الطيران ، ولو أنك حر طليق فأنا لست بأسير .
- إن الطيران مقصور على كل من له جناح ، فلماذا تميل الطيور إلى التفاخر ؟
- عندما استمع الطائر الحر المجروح الحمية إلى هذا ، قال : اسمع هذا الحديث المؤلم للقلب .
- لا شك أنك حر فى الطيران ، إلا أن حد طيرانك ينتهى عند الحائط .
- ولست واقفاً على همة طيور الفضاء الحرة ، عشك فى التراب بينما الطيور الحرة تتطلع إلى الفلك .
- أنت طائر منزلي أليف تلتقط طعامك من التراب ، بينما نحن قد وصلنا النجوم فى سبيل البحث عن الحبوب .

أنـــا وأنـــت

- إن نظري لا يعرف ذوق الرؤية ، فماذا عن نظرك العارف بأسرار الفطرة .
- ولساني يلهج بالشكوى من الأيام ، بينما السماء بعيدة الفطرة .
- تركتني متشرداً فى الحديقة مثل موج النسيم ، ومنحك الفلك عشاً .
- ومتاع حياتك يزداد مكاسباً ، ونصيبى يلازمه الخسارة .
- طيارتك تدور فى الهواء محلقة ، سفينتى محرومة من الشراع .

---

(3) غلام قادر روهيلة قائد أفغانى غزا الهند فى القرن السابع عشر وسمل عينى الملك المغولى شاه عالم وبث الرعب فى أركان الدولة المغولية . (المترجم)

- كنا أقوياء ماذا حدث لنا ؟ وصرنا ضعفاء فماذا حل بنا ؟
- وهكذا كنا فماذا حدث ؟! وهكذا أصبحنا فماذا جنينا ؟
- لا يوجد راحة فى هذه الروضة مطلقاً ، لو أنك أصبحت ربيعاً لصرنا نحن الخريف فماذا يحدث ؟

تضمين على شعر أبى طالب الكليم (١)

- حسناً إن عندك شعار صاحب يثرب ، بينما تقول حياتك إنك غير مسلم .
- وكان الفلك أسيراً فى حلقة خاتمك ، فيا سليمان لقد فقدت الفص بسبب غفلتك .
- وجبيك الذى كان مضيئاً كالكواكب من أثر السجود ، أصبح لا يعرف الآن هذا السجود .
- فانظر إلى عملك فهل هو بنفس الصدق ، الذى كانت جرأته مثاراً للعجب .
- لقد كانت نظرات آبائك كالصاعقة ، والآن تمكن الباطل من قلبك وتربع فيه .
- أيها الغافل هيا عمر عشك مرة ثانية ، فإن الكليم ثاقب النظر يصدح على طور المعانى .
- لقد ثرت على كل شئ ولكن يجب عليك الإنصياع له ، فلتظل فى موضعك الذى نهضت منه كالشعلة .

شبلى وحالى (٢)

- قال إقبال يوماً لأحد المسلمين ، إن وجودك فريد فى ديوان الجزء والكل (الحياة) .
- إن نغمات العلوم الحديثة مثل غنائك القديم ، والحضارة هى غبار قوافلك القديمة
- وهى الحجارة والموج والنسيم أيضاً ، ومرآة كبرياء الرجل رقيقة جداً .
- إن من عركتهم الحياة يبحثون عن أسباب الحوادث ، وحيل ظلم الفلك اللازوردى .
- أسأل عن العارف بالأسرار القديمة للروضة ، واسأل كيف يناطح الربيع روضتك .
- اضطرب المسلم من كلامي ، فقد نمت آهته الباردة عن غم دفين .
- وقال انظر إلى حالة الخريف ، فقد ذبلت شجرة الحياة .
- وصمت العارفون بأسرار الروضة ، وكانت أصواتهم الحزينة متاعاً للحرقة والألم .
- وأهل الروضة لا يزالون يبكون على شبلي ، وحالي كذلك ولى وجهه شطر طريق لفردوس .
- فمن لديه الشوق في أن يسأل البستاني عما قاله البلبل وما سمعته الوردة وما فعلته رياح الصبا ؟

---

(1) أبو طالب كليم شاعر إيرانى ولد فى همدان ثم رحل إلى الهند وعاش فى بلاط شاهجهان وتوفى ١٠٦١هـ . (المترجم)

(2) شبلى النعمانى أديب وشاعر وناقد ومؤرخ ترك العديد من المؤلفات منها : الفاروق وسيرة النبى وعلم الكلام وشعر العجم ولد عام ١٨٥٧م فى أعظم كمره وتوفى عام ١٩١٤م . (المترجم)

وألطاف حسين حالى : شاعر وناقد أردى كبير دافع عن المجتمع الإسلامى فى الهند وترك مؤلفات عديدة ، منها : مقدمة فى الشعر والشاعرية ومسدس حالى ويادكار غالب وحيات جاويد وتوفى ١٩١٤م . (المترجم)

الرُّقــــى

- الصراع لا زال محتدماً من الأزل وحتى اليوم ، بين شرر أبى لهب ومصباح المصطفى .
- الحياة شعلة ذات مزاج ، وغيورة ومزعجة ، ومن شيمتها تحمل الصعاب وطلب الجفاء .
- من سكون الليل حتى نغمة وقت السحر ، توجد ألف مرحلة للبكاء فى نصف الليل .
- معاناة الشتاء والصيف والحرارة والنحت والقطع ، من الطين المظلم حتى الزجاج الحلبى .
- إنه مقام النصر والهزيمة والتفرقة والحرقة ، بين قطرة نيسان والنار العنابية .
- وتحيا الشعوب من هذا الصراع الدائم ، وهذا هو سر حماس وقوة الأمة العربية
- وأصحاب الحانات الذين يصنعون الخمر من حبات العنب ، يحطمون النجوم ويصنعون الشمس .

أبـــو بكـــر الصديـــق (رضى الله عنه)

- قال الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة ذات يوم ، على كل ثرى بذل المال فى سبيل الله .
- فنهض عمر من فرط سعادته بعد أن سمع هذا الكلام ، وكان لديه فى ذلك اليوم عدة آلاف من الدراهم .
- كان يقول فى نفسه: إننى حتما سأتفوق على الصديق ، وأتقدم عليه اليوم .
- المهم أنه احضر ماله عند الرسول الأمين ، لأن الإيثار هو بداية العمل .
- قال الرسول صلى الله عليه وسلم يا عمر ، يا من استقر فى قلبك الحماس للحق
- هل أبقيت على شئ منه لعيالك ، فعلى المسلم أن يؤدى حقوقه وحقوق أولاده .
- قال عمر : إن نصف المال حق للزوجة والولد ، الباقى فداء للملة البيضاء .
- وفى تلك الأثناء حضر رفيق النبوة ، الذى قويت به أسس العشق والمحبة .
- فأتى ذلك الرجل الوفي معه بكل شئ له اعتبار فى نظر العالم .
- مما ملكت يمينه :الدراهم ، والدنانير ، والأمتعة ، والفرس قمرى الحافر ، والجمال ، والبغال ، والحمير .
- قال الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغى أن تفكر فى عيالك ، فقال العالم بأسرار العشق والمحبة .
- يا من يستمد القمر والنجوم نوره من عينيه ، ويا من ذاتك مبعث تكوين العالم .
- لقد قيض المصباح للفراشة ، والوردة للبلبل ، يكفي للصديق الله ورسوله .

الحضـــارة المعاصـــرة

(تضمين على شعر فيضى) [1]

- الحرارة هي بلاء خمر الحضارة الحديثة ، فقد أشرب جسد المسلم التراب بحمرة من اللهب .
- وجعل الذرة براعة ومنحها الحرارة المستعارة ، فلينظر أحدكم إلى دلال الشمس المتجلية .
- ووجدت طبائع الشباب أسلوباً جديداً ، من الحسن واليقظة والحرية والجرأة .
- لقد حل التغير على التدبر والتفكر ، حتى صاروا يهزأون ويضحكون على تحطم أكباد البراعم في الحديقة .

---

(1) هو أبو الفيض بن المبارك شاعر مغلق وله مؤلفات فى التاريخ واللغة والطب وله شعر بالعربية والفارسية

والسنسكريتية وكان شاعر بلاط الملك المغولى جلال الدين أكبر ولد عام ٩٥٤هـــ فى اكرا بالهند وتوفى ١٠٠٤هـــ . (المترجم)

- هل أظلت الفراشات الحديثة أعشاشها ، أم أن مهارة الساحر قد عرضت عليهم مناظر خلابة .
- فكم من الملذات جلبتها معها حياتهم الجديدة ، كالتنافس وبيع النفس والتسرع والهوس .
- وقد تلألأ مجلس المسلم من ازدهار الشمع الجديد ، لكني أقول للفراشات بإدراكى القديم :
- أيتها الفراشة إنك تستمدين هذه الحرارة من شمع المجلس ، فلو عندك حرقة في القلب فلتحرقي ذاتك في النار مثلى .

فى ذكرى الوالدة المرحومة

- إن كل ذرة من ذرات العالم أسيرة القدر ، والتدبر ما هو إلا حجاب العجز وقلة الحيلة .
- فالسماء مجبرة والشمس والقمر مجبران كذلك ، والنجوم مضطرة للسير والحركة .
- عاقبة كأس البرعم فى الحديقة هو التحطم ، والأعشاب والورود أيضاً مضطرة على النمو فى الحديقة .
- إن كل شئ أسير لهذه السلسلة التى أخضعت العالم ، سواء كان ذلك نغمة البلبل أو صوت الضمير الصامت .
- وعندما تشاهد العين سر الجبر ، يجف سيل الدموع المنهمر فى القلب .
- ولا يظل رقص الطرب والحزن فى القلب الإنسانى ، وتبقى النغمة ولكنها تفقد تأثيرها .
- والعلم والحكمة هما كقاطعى طريق متاع الدموع والآهات ، والقلب اللبيب كقطعة الماس .
- مع أن روضتي ليس بها نضارة الندى ، وتفتقر عيني إلى الدموع الدامية.
- فإننى أعرف الآهات وسر الآلام البشرية ، ونغمة فطرتي تخلو من صوت الشكوى .
- ليس على شفتي قصة عوارض الدهر ، وقلبي ليس بحيران ولا ضاحك ولا باك
- إن صورتك تدفعنى للبكاء المستمر ، وا آسفاه ! فهذا يعوق حكمتي المحكمة .
- إن أساس الروح المستحكم هو من البكاء المتواصل ، ويخجل العقل القاسي عندما يعرف الألم .
- ومرآتى مضيئة بموج دخان الآهات ، وكنفي عامر بكنوز العبرات .
- إنني مندهش أمام إعجاز تصويرك ، فقد غيرت اتجاه طيران الزمن .
- وكأنها أتت بالماضى والحاضر معاً ، وأعادت إلى ذكريات مرحلة الطفولة .
- وعندما كانت هذه الروح الضعيفة تتربى فى كنفك ، لم يكن لسانها محرماً للحديث معها بشكل جيد .
- والآن اشتهرت بعذب حديثها ، وصارت جواهر عينيها لؤلؤاً ثميناً .
- إن الكلام العلمي الرصين نتيجة الإحساس بالشيخوخة ، والعظمة والعزة الدنيوية وغرور الشباب .
- ونهبط من مواضع هي أوج الدنيا ، وتظل كطفل برئ فى صحبة أمه .
- ونطلق الضحكات بلا تكلف ونتحرر من التفكير ، ونعمر الفردوس المفقود مرة ثانية .
- آه فمن عساه ينتظرني الآن فى الوطن ؟ ومن سيظل مضطرباً لأن خطاباتك لم تصل إليه .
- سأصل إلى تراب قبرك بهذه الشكوى ، فمن سيذكرني الآن فى دعاء نصف الليل .
- نتيجة تربيتك صرت أشاطر النجوم رفعة ، وصار بيت أجدادي متاعاً للعزة والجاه .
- لقد كانت حياتك ورقة ذهبية فى دفتر الوجود ، وكانت حياتك بأسرها درساً للدين والدنيا .
- وظل حبك فى خدمتي طوال عمرك ، ولكنك رحلت عندما صرت جديراً بخدمتك .
- إن ذلك الشاب الذى تشبه قامته السرو ، قد استفاد من خدمتك له أكثر مني .
- وكان مصاحبا لي فى شئون الحياة ، كان ساعدي وشبيهاً لك فى المحبة .
- فهو يبكى عليك مثل طفل صغير بلا حيلة ، وينوح عليك صباحاً ومساء بعد أن فقد صبره .
- إن البذرة التى زرعتها فى حقل روحنا أثمرت ، وقد قوي عودها بمعايشة الهموم .
- آه إن هذه الدنيا كمنزل المأتم على الشيخوخة ، أى سحر هذا الذي جعل الإنسان أسيراً للأمس والغد .
- كم تكون الحياة صعبة وكم يكون الموت سهلاً ، فالموت رخيص فى حديقة الحياة كالنسيم .
- وكم من أخوات وأمهات الدهر ، من زلازل وصواعق وقحط وآلام .
- والموت يدركنا سواء فى كوخ الفقر أم فى قصر الغنى ، وهو فى الصحراء وفى المدينة وفى الروضة والخرابة .
- إن ثورة الموت كامنة فى قلزم الصمت ، فالسفن تغرق فى حضن الموج .
- فلا مجال للشكوى ولا طاقة للحديث ، ما الحياة ؟ إن هي إلا طوق يخنق العنق
- فليس فى القافلة إلا رنين الجرس ، وليس لدنيا من متاع سوى العيون الدامعة .
- وسوف تنتهى الحياة لكن دور الامتحان قادم ، وهناك أدوار أخرى خلف حجب السماء .

- فماذا نفعل لو أن الورد وشقائق النعمان شقوا الصدور ، والبلابل مجبرة على البكاء والعويل .
- إن الفسائل التى تأسر آهات الخريف فى القفص ، سيجعلها نسيم الربيع الخالد خضراء .
- وماذا نفعل لو نام شرارنا على التراب العارى ، ولو صارت حفنة التراب هذه محملاً عارضاً .
- إن نهاية نار الحياة بلا تراب ، وهى ليست الجوهرة المقدر لها أن تتحطم .
- فهل الحياة محبة فى عين القدرة إلى هذه الحد ، حتى تتوفر الرغبة فى الحفاظ على الحياة فى طبيعة كل الأشياء .
- لو أن محو آثار الحياة بيد الموت ، ما عم ذلك نظام الكائنات .
- ولو أنه رخيص فإنك تدرك أن الأجل ليس بشئ يذكر ، فهو كالنوم الذى لا يحدث خللاً فى الحياة .
- آه أيها الغافل إن سر الموت الخفى شئ آخر ، وعدم ظهور الصورة للعيان شئ آخر .
- ومشهد الجنة كرسم الهواء على سطح الماء ، وبعد أن تتحطم الأمواج المتلاطمة يتكون الحباب .
- ثم يختفى تحت ذيل الأمواج ، ويزيل آثاره بقسوة .
- فلو لا وجود الحباب ما تكون الحباب ، ولما كان الهواء غير مكترث بتحطيمه هكذا .
- فما أثر هذا الطراز على شكل البناء ؟ فهذا دليل على قوة البناء لدى الهواء .
- وإلا ما كانت طبيعة الحياة شهيدة الأماني ، ولا ظلت تبحث باستمرار عن أجمل شكل .
- آه إن النجوم المضطربة كالزئبق تضئ السماء ، وهذه الجذوات من النار تدين لليل فى حرقتها .
- وهي جزء من العقل ، وسيرة الجنس البشرى ما هي إلا ساعة منها .
- وهذا الإنسان الذي يولى نظره شطر السماء ، هو أطهر من الملائكة فى الأهداف .
- وهو كالشمع المضئ فى مجلس القدرة ، والسماء نقطة واحدة أمام سعة فطرته .
- والذى يضطرب جهله من أجل الحقيقة ، وأظفره مضراب لقيثارة الحياة .
- فهل هذه الشعلة كذلك أقل من شرر السماء ؟ وهل يمكن أن تكون شمسنا أقل قيمة من النجوم ؟
- إن عين بذرة الوردة بلا نوم تحت التراب ، ولا يقر لها قرار من أجل الظهور والنمو .
- إن شعلة الحياة كامنة فى هذه البذرة ، وهى مضطرة لا ظهار ذاتها وتنمية نفسها .
- ولا تستطيع أن تنجو من برودة المرقد ، ولا يمكنها أن تفقد حرقتها بعد أن تطمر فى التراب .
- إنها تنبت من قبرها فى هيئة وردة ، وكأنها أخذت عباءة الحياة من الموت .
- ويجمع اللحد هذه القوة المبعثرة ، فتلقى بوهجها على عنق الفلك .
- اسم الموت تجديد مذاق الحياة ، وهو رسالة اليقظة خلف أستار النوم .
- ومن تعود الطيران لا يخاف من الطيران ، والموت فى هذه الروضة ما هو إلا بسط الأجنحة .
- ويقول الناس إن ألم الأجل بلا دواء ، وجرح الفراق يشفى بمرهم الأيام .
- إلا أن القلب الذي يعشش فيه الحزن على الموتى ، يكون حراً من قيود الصباح والمساء .
- ولا يعبأ عويل المأتم بسحر الوقت ، فالوقت ليس مرهماً لجرح سيف الوقت .
- وعندما يحل بالإنسان كره مباغت ، تنهمر العبرات مهراقة من عينيه .
- ويتعلق القلب بالبكاء والعويل ، ودماء القلب تتدفق من العيون العامرة بالدموع .
- ومع أن المرء محروم من قوة الصبر ، فإن هذا الإحساس مجهول فى فطرته .
- إن جوهر الإنسان لا يعرف العدم ، فهو يغيب عن الأعين لكنه لا يفنى .
- ومتاع الحياة يصير ترابا من شعلة الغم المستعرة ، ولا تنطفئ هذه النيران إلا بماء هذا الإحساس اللطيف .
- آه إن التحكم فى العويل لا يعد من صمت الغفلة ، ومواساة القلب هى من المعرفة وليست نسياناً .
- وفى اللحظة التى يتجلى فيها الصبح من ستائر المشرق ، تغسل وسمة الليل أذيال الأفق .
- وترتدى شقائق النعمان الزابلة عباءة النار ، ويصدح الطائر الأخرس وهو سكران .
- وتتحرر الأهازيج من سجن صدر البلبل ، ونسيم الصبح يعج بآلاف النغمات .
- وفى النهاية يتعانق النائمون فى الروضة والجبال والأنهار ، مع عروس الحياة .
- لو أن هذا قانون الحياة بحيث يأتى الصباح بعد كل مساء ، فلماذا لا يكون الصباح هو ليلة مرقد الإحسان ؟
- إن شبكة خيالي الفضية تغطى العالم ، وقد جعلتنى أسير ذكراك .
- إن قلبك المجرب للألم مفعم بالذكرى ، مثل فضاء الكعبة الملئ بالدعاء .
- إن سلسلة الفرائض التى تسمى الحياة ، لها آلاف من مواضع التجلي والعوالم المتغيرة .
- ولكل منزل من منازل الحياة طريق مختلف عن الآخر ، والآخرة أيضاً أحد منازل الحياة .
- وهناك مزرعة الموت ،ليس لها محصول ، ومناخ الآخرة ملائم لبذرة العمل .
- ونور الفطرة ليس أسيراً لظلمة الجسد ، ودائرة الفكر البشرى ليست محدودة إلى هذه الدرجة .
- وكانت حياتك أكثر إشعاعاً من ضوء القمر ، وسفرك كذلك كان أبهى من نجم السحر .

- وكان مرقدك منيراً مثل ايوان السحر ، وقبرك الترابى كان عامرا بالنور .
- لتنثر السماء الندى والبرد على قبرك ، وليحرس العشب الأخضر هذه المقبرة .

شعـــاع الشمـــس

- عندما كان ناظري يهفو مشاهد الصباح ، كان شعاع من أشعة الشمس شريداً فى السماء .
- فسألت هذا الشعاع قائلاً : أيها المضطرب ، كيف هذا الاضطراب الذى يملأ روحك المتلهفة .
- هل أنت صاعقة صغيرة تظهر فى السماء ، للقضاء على محصول الشعوب ؟
- هل هذا القلق من طبعك منذ الأزل ، وهل هذا رقص أم تشرد أم بحث ؟
- إن الفتن نائمة فى حياتى الصامتة ، وقد تربيت فى حضن الصباح .
- وحظي يجعلني مضطرباً كل لحظة ، وتدفعني لذة التنوير إلى البحث .
- ومع أننى ناري إلا أن النار ليست عادة فى فطرتي ، أنا رسالة اليقظة لشمس العالم المضيئة .
- وسأصبح اثمدا يتغلغل في عين الإنسان ، وسأكشف له كل ما أخفاه الليل عنه .
- هل من أحد يبحث عن اليقظة بين السكارى ، وهل بين النائمين من لديه ذوق الصحو ؟!

عرفـــي (١)

- بنى خيال عرفي قصراً شامخاً ، وهو صدقه لما بناه ابن سينا والفارابى .
- لقد سطر أغنامه على فضاء العشق ، وهي التى تجود بالدموع الحمراء (العنابية) حتى الآن .
- وذات يوم اشتكى قلبي إلى قبره ، ليس هناك الآن متعة الاضطراب فى ضجيج الدنيا .
- لقد طرأ التغير على مزاج أهل الأرض ، وودعت الحالة الزئبقية الدنيا .
- وصار عويل الشاعر في منتصف الليل لا تطيقه الأذن ، عندئذ لم تعرف عيون المجلس متعة الأرق .
- لماذا سلبت الظلمة شعلة العويل ؟ إن نور السماء عند السحر على محبي الليل أمر ثقيل .
- وهناك صوت ينبعث من القبر ، إن شكوى أهل الدنيا إنما هي من قلة الكلام .
- إن الجوى أكثر مرارة وهو كذوق اللحن الخافت ، وعندما يرى أن المحمل ثقيلاً يزيد فى ترديد الحداء .

الرد على رسالـــة

- إن لدي الرغبة وليس عندي الهمة للسعى والجهد ، فالحصول على الجاه مرتبط بذوق البحث .
- ألف شكر للطبيعة على تحطيمي ، ولا شكر للعقل صانع الفتنة .
- وبسبب كلامي (شعرى) توجد مزارع خضراء فى القلوب ، وحيثما أكون فأنا كالسحاب الممطر يملأ النهر .
- أنت تبارك هذه المشكلات السياسية ، وقد خدش الظفر الصدر بفيض العشق .
- إن هواء مجلس السلاطين دليل على القلب الميت ، فهل أنين حافظ المتنوع أشفى هذا السر ؟
- فلتهنأ بمجالسة الخضر ، ولتختفي عن عيون الإسكندر كماء الحياة .

نانـــك (١)

---

(1) عرفى : شاعر من شعراء الفارسية ولد فى إيران ١٥٥٦م وهاجر إلى الهند وأشتهر بها وتوفى عام ١٥٩٢م . (المترجم)

- إن قومنا لم يهتموا قليلا برسالة "نجوتم" [٢] ، ولم يعرفوا قدر جوهرة واحدة من جواهره .
- يا للأسف ! إنهم من سوء الحظ لا يعلمون شيئاً عن صوت الحق، مثلما يغفل الشجر عن حلاوة ثماره .
- فهل كان قد أشفى سر الحياة ، لكن الهند كانت تفتخر بالفلسفة الخيالية .
- وهذا المحفل ليس مضاءً بشمع الحق ، لقد هطل مطر الرحمة لكن الأرض لم تكن قابلة له .
- آه لقد تحولت الهند إلى منزل الغم للمنبوذين ، فقلب هذه الدولة غريب عن الألم البشري .
- إن البرهمى ثمل من خمر العظمة حتى الآن ، ويحترق شمع "نجوتم" فى مجلس الأغيار .
- لقد انتشر النور فى المعبد بعد فترة ، وقد أضاء نور إبراهيم بيت آزر .
- وفى النهاية ارتفع صوت التوحيد من البنجاب ، وأيقظ الرحيل الكامل الهند من نومها .

الإســـلام والكفـــر

(تضمين على شعر مير رضى دانش) [٣]

- ذات يوم سأل إقبال كليم الطور ، يا من رياض وادي سيناء من آثار أقدامك .
- إن نار النمرود تشعل الشرر فى الدنيا حتى الآن ، فكيف اختفت حرقتك القديمة عن الأعين ؟
- أجاب صاحب سيناء قائلاً : لو أنك مسلم ، فلا تترك الماضي ولا تتيم بالحاضر
- فلو لديك الذوق فلابد أن يكون هناك إيمان الخليل ، وإلا سيكون التراب قميص حياتك .
- لو أنك عاشق للماضى فلا تكترث بشئ ، ورابط في وادي فاران وانصب خيمتك به .
- إن أبهة الحاضر عارضة ، وسطوة الماضي مستمرة ، وبين هذه الصداقة والحب تآلف كتآلف الروح والجسد .
- ولو أنارت شعلة النمرود الزمان فلا تعبأ بها ، لأنها تذيب شمع ذاتها داخل المحفل .
- فى حين أن نورنا مثل النار داخل الحجر فمن الأفضل أن تبقى مختفية عن الأنظار .

بـــلال (رضى الله عنه)

- كتب أحد علماء الغرب المنصفين ، وكانت له مكانة عالية بين العلماء .
- لقد كانت آسيا ميداناً لجولات الإسكندر الرومى ، وكانت منزلته أسمى من الفلك
- يذكر التاريخ أن مزاعم قورش ودارا ، كانت واهية أمام الرومى (الإسكندر) .
- وكان الفلك الأزرق ينظر بدهشة ، إلى ملك ملوك الدنيا وجنوده كالنجوم .
- واليوم لا يعرفه أحد فى آسيا ، حتى إن علماء التاريخ لا يعرفونه كذلك .
- لكن بلالاً ابن الحبشي الفقير ، كانت طبيعته مستنيرة بنور النبوة .
- والصوت الذى ارتبط به الملك والفقير ، صار صدى بلال أميناً عليه منذ الأزل
- هو الصوت الذى يختلط فيه الأسود بالأحمر ، ويجمع فيه بين الغني والفقير .
- وهو النغمة المتجددة المذيبة للكبد حتى اليوم ، التى يسمعها الفلك القديم منذ قرون .
- عشق من هذا يا إقبال ! لقد عم فيضه ! وقد فنى الإسكندر الرومي بينما خلد ذكرى بلال الحبشى .

---

[1] هو جورو نانك مصلح دينى هندى حاول التقريب بين الإسلام والهندوسية بمذهب جديد هو (السيخية) وأتباعه منتشرون بكثرة فى إقليم البنجاب ، ويعد المعبد الذهبى فى امرتسر بالبنجاب قدسى أقداسهم . (المترجم)

[2] جوتم بدهـــ صاحب المذهب البوذي وهو منتشر فى إقليم التبت والصين واليابان وشرق الهند . (المترجم)

[3] مير رضى دانش شاعر إيرانى ينتمي إلى مدرسة السبك الهندى ، هاجر إلى الهند أيام شاهجهان وتوفى بها . (المترجم)

المسلمون والتعليم الحديث

(تضمين على شعر ملك القمى) [1]

- أيها المسلم شارد الذهن لقد كان هذا من تعاليم المرشد ، ولا بد للمسافر فى هذه الدنيا من متاع السفر .
- وقد ساعدت صروف الدهر على التغير ، فصار المتاع الغالي لا يطلبه أحد .
- وشعلتك المضيئة التى كانت الظلمة تهرب منها ، خفتت حتى صارت كالشرر وأقل نوراً من النجوم .
- لا تتيم بالغائب وكن شغوفا بالحاضر ، فالمعبود الحاضر غلب أثره الآن على الشعوب .
- فمن غير الممكن أن تثمر جهودك في هذه الروضة ، فشباكك مهترأة والطائر حصيف وسريع .
- إن التعليم فى هذا العهد كالدواء لأمراض الأمة ، التعليم كالمبضع للدماء الفاسدة
- ولقد افتتنت بالتعليم بإيماءة من المرشد ، فمن الواجب على من يقطع الصحراء أن ينفذ وصية الخضر .
- لكن على العيون أن ترجع البصر لترى حظي العاثر ، فقد توارى المحفل عن عيني عندما ذهبت لأنزع الشوك .
- فقد غفلت لحظة فابتعدت عن طريقى مائه عام .

أميـــرة الـــورود

- قال البرعم للندى في الحديقة ذات يوم ، لقد عشت مدة من الوقت بين براعم جنة رضوان .
- ووضع روضتك مثير إلى حد ما ، حتى إن عيني في حيرة فنظرت على الفردوس من طرفها .
- وعلمت أن أميرة ما تحكم هذه الروضة ، وتنبت الورود فى الصحراء نتيجة نقش أقدامها .
- فلتصطحبني معك مرة إلى بلاطها ، ولتواريني فى طيات ذيلك كموج الأريج .
- قال البرعم إنها أميرتنا الجالسة على العرش ، يمكنها أن تجعل الأحجار فصوصاً متلألأة بعد أن تطأها .
- فطرتك تنحو منحى الخمول بينما الأميرة لها منزلة عالية ، ليس من الممكن أن تصل إليها بصحبتي .
- لكن يمكنك الوصول إلى أميرتنا ، لو صرت عبرات حارة فى عين إنسان متألم مكلوم .
- إن نظرتك رسالة العيد للمحرومين ، ويمكنها أن تجعل من دموع المكلومين المنهمرة جواهر .

تضمين على شعر صائب

- يا إقبال ! أين المكان الذى بنيت فيه عشك ، فالنواح على البلبل فى هذه الروضة زاد الخزي .
- لقد نثرت شرر الوادى الأيمن لكن ، من الصعب أن تنبت البذرة السينائية * فى هذه التربة .
- ولا يمكن للبرعم أن يصبح وردة بقوة أنفاسه ، حيث كل شئ يكون محروماً من خاصية النمو الذاتي .
- وفى القيامة نامت طبائع أهل الحديقة ، فلا همة لدى الشباب ، ولا يقظة قلب عند الشيخوخة .
- وعندما ينام القلب الفطن في الصدور ، يصير السكر للشاعر النائح سماً زعافاً .
- لو لم تستطع التحكم في صوتك فاخرج من هذه الروضة ، فإن الوحدة في أي صحراء أفضل من هذا المجلس .
- ومن الأفضل أن تتجلى ليلى فى الصحراء ، لأن ضيق المدينة لا يتحمل الحسن الصحراوي .

حوار فى الفردوس

---

[1] الشاعر ملك القمى ولد فى مدينة قم فى إيران وتعلم فى كاشان ثم هاجر إلى الدكن عام ٩٨٢هـــ أيام حكم إبراهيم عادل شاه وتوفى عام ١٢٠٥م . (المترجم)

* إشارة إلى شبه جزيرة سيناء (المترجم).

- حدثنى هاتف أنه فى إحدى الأيام خاطب "سعدى الشيرازي" "حالي" فى الفردوس قائلاً :
- يا من أضاء نور جواهر شعرك الأفلاك ، وغطى بطرف ذيله على نور القمر والنجوم .
- حدثني عن حال مسلمى الهند ، هل أنهكهم المنزل أم هم مشغولون فى الجد والاجتهاد .
- ألا زالت حرارة الدين تجرى في عروقهم ؟ وهم الذين كانت حرارة أصواتهم محرقة للفلك .
- فتأثر حالي من أحاديث الشيخ ، وبدأ يقول وهو يبكي : يا صاحب الإعجاز والسحر .
- عندما قلب شيخ الفلك ورق الأيام ، انبعث هذا الصوت قائلاً : بالتعليم تنالوا العزة .
- لكن عقيدتهم تزلزلت بالتعليم ، فعندما نالوا نصيبهم من الدنيا حلق طائر الدين بعيداً .
- إن الأهداف والغايات تمنح الدين السمو ، بينما طبيعة شبابنا تجذبهم إلى الأرض
- والدين يبقى على التناغم والتآلف بين البشر ، فالدين هو المضراب والملة كلها القيثارة .
- وعندما تقوض بنيان حائط الحديقة ، ظهرت من البداية نهاية الحديقة .
- ولأنها لم ترو من ماء زمزم الملة ، نشأ فى الفسائل الجديدة نهج الاحاد .
- فلا تذكر هنا حضرة سلطان يثرب ، حتى لا يفهم منه أهل الهند أننى أتم عليهم
- فلا يمكن أن تحصد التمر من الشوك الذى زرعناه ، ولا نستطيع أن ننسج الحرير من الصوف * .

الديــــن

تضمين على شعر ميرزا بيدل (١)

- هذا تعليم شيخ الفلسفة الغربية ، إن الذين يبحثون عن الحياة الغيبية جهلاء .
- فما فائدة المعرفة إن لم ير البصر الهيكل (الجسد) ، والشيخ ينحت الأصنام مثله مثل البرهمى .
- فالعلوم الحديثة مبنية على المحسوسات ، وقد تفتتت فى هذا العصر مرآة العقائد.
- فما نسميه بالدين ما هو إلا جنون خام ، ينتعش منه الخيال البشرى .
- إلا أن فلسفة الحياة تقول شيئا آخر ، وقد أفشى المرشد الكامل لي هذا السر .
- من الأفضل أن يعتري الكمال شيئاً من النقص ، فمهما كنت من أصحاب العقول الكاملة لا يمكن أن تكون بلا جنون .

واقعة من معارك غزوة اليرموك

- عندما كان شباب العرب يصطفون وسيوفهم مسلولة ، كانت عروس أرض الشام تنتظر الحناء .
- فتقدم شاب مضطرب كالزئبق ، وتحدث مع أمير الجند قائلاً :
- يا أبا عبيده! امنحنى الإذن بالقتال ، فقد فاض كأس صبري وسكوني .
- فأنا ما زلت مضطرباً لفراق الرسول ، والعيش للحظة واحدة حرام فى الحب .
- أنا حاضر للذهاب إلى الرسول ، وسأكون سعيداً لو حملت معي أى رسالة .
- وعندما رأت العين شوقه اغرورقت بالدموع ، وكان نظرها حادا مثل حد السيف .
- قال أمير الجيش : أنت يا أيها الشاب ، من الواجب على الشيوخ احترام عشقك.
- سوف يحقق لك رب محمد رغبتك ، فما أسمى مقام حبك .
- وعندما تصل إلى بلاط الرسول الأمين ، وبعد السلام عليه أبلغه رسالتي .
- بأن الله تعالى قد أكرمنا ، وأن الرسول قد حقق كل الوعود التي وعد بها .

---

* هذا البيت بالفارسية لسعدى الشيرازى .(المترجم)

(1) ميرزا بيدل من أشهر شعراء الفارسية فى الهند ولد فى بتنه بولاية بيهار شرق الهند وتوفى فى دهلى عام ١١٣٣م . (المترجم)

الديـــن

- لا تقس أمتك بمقاييس الأمم الغربية ، لأن أمة الرسول الهاشمي لها تركيب خاص بها .
- إن اتحادهم ينحصر فى الوطن والنسب ، واتحادك يقوى بقوة الدين .
- إذا سقط ذيل الدين من اليد فكيف يتم الاتحاد ؟ وإذا انقضى الاتحاد ذهبت الأمة معه .

لتكن متعلقاً بالشجرة ولتعقد الأمل بالربيع!

- إن الغصن الذى ينكسر من الشجرة فى فصل الخريف، من المستحيل أن يُخضره سحاب الربيع .
- يصير عهد الخريف سرمدى لهذا الغصن ، ولن تكون له أى علاقة بالأوراق والثمار .
- لقد حل فصل الخريف كذلك بروضتك،وجيب الوردة خالمن الذهب كامل العيار
- والطيور التى كانت تصدح فى خلوة الأوراق ، ودعت شجرتك الظليلة .
- وعليك أن تتعلم الدرس من الغصن المقطوع ، فأنت لا تعرف قوانين الزمن .
- فلتوثق علاقتك بالملة ، ولتكن متعلقاً بالشجرة ، ولتعقد الأمل بالربيع .

ليلـــة المعـــراج

- ينبعث صوت نجم المساء من السماء ، الليلة هى الليلة التى يسجد فيها السحر .
- وطريق الهمة للملأ الأعلى خطوة واحدة ، هذا ما تقوله ليلة المعراج للمسلم .

الـــوردة

- أيتها الوردة لماذا تفكرين فى البلبل الذى مزق القلب مائة مرة ، اصلحى قميصك الممزق أولاً .
- فلو أنك تتمنين العزة فى روضة الحياة ، فلتألفي الحياة المتداخلة مع الأشواك .
- ولتمنحى الحرية للصنوبر فى الحديقة ، وليحصل الأسرى على حريتهم .
- ولتعطى البخل رسالة الخجل بالاستغناء ، ولا تظلين رهن منة قطرات الندى واقلبى الكأس والإبريق .
- فليس من صفات العزة أن يقطفوك من الروضة ، ليضعك أحد فى عمامته ويجمل بك الآخر عنقه .
- طار الندى بعد أن قال هذا القول لوردة الروضة ، إذا رغبت أن تذوقي ظلم قاطفى الورود فعليك أن توجدي اللون والأريج .
- ولو قبلت أن تظلي جاهلة بالخريف ، فيجب أن تقطعي الأمل أولاً عن عالم اللون والشذى .
- فانظري إلى كمال حياتك المضمرة فيه ، فأنت مثل زينة طرف وجه المرآة .

شكسبيـــر

- إن تبختر النهر هو مرآة لشفق الصباح ، وصمت المساء هو مرآة لنغمة الليل .
- وورق الورد هو مرآة خد حسن الربيع ، والكأس هو مرآة لشاهد الخمر المحبب
- الحسن هو مرآة الحق والقلب هو مرآة الحسن ، وحسن كلامك مرآة لقلب الإنسان .
- وكمال الحياة من فكرك الذى طاول السماء ، فهل كان مآل الوجود من فطرتك المضيئة .
- حينما جدت العين البصيرة فى طلبك ، رأت حرارة الشمس مختبئة فى الشمس .
- وقد ظلت حياتك مستورة عن عين العالم ، ورأى العالم عينك عارية .
- الفطرة مجنونة بحفظ الأسرار لدرجة أنها لم تخلق أحداً عالما بالأسرار مثلها .

أنـــا وأنـــت

- ليس عندى سليقة الكليم ، وليس عندك قرينة الخليل ، أنا هلاك سحر السامرى ، وأنت قتيل أسلوب الآزرى .
- أنا صوت محترق فى الحلق ، وأنت شاحب اللون قليل الشذى ، أنا حكاية غم الأمنية ، وأنت حديث مأتم العشق .
- خبزي هو الحزن وعسلى السم ، وكيانى يتقاسمه العدم .
- قلبك حرم سلبه العجم ، ودينك اشتراه الكفر .
- نفس الحياة هو راحة الحياة ، وحزن الدنيا هو سم الدنيا .
- فلا تحزن على فقدها ، ولا تتجرع سم الغم فهذا شأن الصوفي .
- وإن كان فى ترابك شرر فلا تفكر فى الفقر والغنى .
- لأن خبز الشعير هو أساس قوة الحيدرى .
- فقل لي يا مصباح الحرم عن كيفية الطواف .
- حتى يكتسب طائرك سلوك طائر السمندر .
- وشكوى الحرم من جفاء أهل الحرم يبدو منها الوفاء .
- فلو حكيتها فى معبد ما .. لقال الصنم : "بخ بخ" .
- ميدان معركة الحياة ليس جديد وليس به منافسون جدد بقبضاتهم الشديدة .
- وهى نفس فطرة أسد الله والمرحبى والعنترى [1] .
- فيا ملك العرب والعجم إن الواقفين ينتظرون هنا إنما ينتظرون كرمكم .
- فقد منحت هؤلاء الفقراء عقل الإسكندر .

الأســـر

- لو كانت الفطرة سامية فإن الأسر يضاعف من المنزلة والاعتبار .
- فإن قطرة المطر تزداد قيمة فى سجن الصدف .
- وما المسك الأذفر إلا قطرة دم ، وتصير مسكاً بعد أن تظل أسيرة بطن الغزال
- إن الطبيعة لا تتولى تربية كل فرد ، والطيور التى تستفيد من القفص والشرك نادرة .
- "إن أرجل الغراب والحدأة غير جديرة بأغلال القيود والصيد ، فهذه السعادة من حظ النسر والشاهين" * .

مستجـــدي الخلافـــة

- لو ضاع الملك من يدك فاتركه يضيع ، ولا تكن جاحداً بأحكام الله .
- أليس لديك علم بالتاريخ ؟ فلو بد أت بالخلافة لصرت متسولاً .
- فإن الملك يكون خزياً على المسلمين ، ما لم يشتروه بدمائهم .
- فأنا لا أعتبر هزيمتى عاراً ، مثل طلب العلاج من الآخرين * .

---

(1) يبدو إقبال فى ذلك البيت ملماً إلماماً كافياً بالثقافة العربية بشكل لا يدع مجالاً للشك ، فهو فى الأبيات السابقة أشار إلى السامرى ثم الآزرى أى سيدنا إبراهيم ثم يشير إلى الحيدرى وأسد الله وهما إشارة إلى الإمام على بن أبى طالب ، ومرحب مصارع من الجاهلية عنتر بن شداد الفارسي العبسى . (المترجم)

* هذا بيت بالفارسية (المترجم).

* هذا بيت بالفارسية .(المترجم)

همايـــون

(القاضى شاه دين المرحوم)

- يا همايون! لقد كانت حياتك ملحمة كفاح ، وكانت جذوتك تنير مصباح المحفل .
- بالرغم من أن جسدك الترابى نحيلاً ومريضاً ، وطبعك الشامخ كان متلألئاً مثل النجوم .
- كم لك من قلب شجاع فى ذلك الجسد الضعيف ، وكأن الشعلة المتصلة بالسماء ظهرت من قبضة التراب تلك .
- فالقلب العالم لا يكترث بالموت ، وما صمت الليل إلا ضجيج الغد .
- فالغافلون هم الذين يعتبرون الموت نهاية الحياة ، فليل الحياة هو صباح الحياة الدائم .

طريـــق الخضـــر

(الشاعر)

- فى إحدى الليالى كنت أجيل النظر على شاطئ النهر ، وكان عالم من الإضطراب يختفى فى زاوية القلب .
- والليل يزداد سكوتاً والهواء عليل والنهر يجري ببطئ ، كان النظر حيران : أهذا نهر أم صورته فى الماء ؟
- كان الموج الهادر نائماً نوماً هادئاً فى أعماقه ، مثلما ينام طفل رضيع فى المهد
- والطيور في وكناتها أسرى سحر الليل ، والنجوم ذات الضوء الخافت أسرى لطلسم ضوء القمر .
- فرأيت الخضر حيث يبدو على شيخوخته سحر لون الشباب .
- أخذ يقول لي : يا من تبحث عن أسرار الأزل ، لو أنك فتحت عين قلبك لوجدت مقدرات العالم بلا حجاب .
- وبعد سماع هذا الكلام كان في قلبى ثورة كثورة المحشر ، وكنت متيماً بالبحث فقلت له :
- يا من عينيك ترى العالم وهذا الطوفان ظاهر ، وصخبها نائم فى النهر فى سكون حتى الآن .
- إن خرق سفينة المساكين وقتل النفس البريئة وبناء جدار اليتيم .
- كلها أمور جعلت عمل موسى فى حيرة من أمره أمام عملك [1] .
- لقد تركت العمران وأقمت فى الصحراء ، وحياتك لا تعرف الليل والنهار ، ولا اليوم وأمس .
- فما سر الحياة وما حقيقة الملك ؟ وما هذا التشاحن بين الثروة والعمل ؟
- لقد صارت خرقة آسيا القديمة ممزقة ، وشباب الأمم الجديدة يتجهون نحو طريق الثروة .
- وبالرغم من أن الإسكندر ظل محروماً من ماء الحياة ، إلا أن طبيعة الإسكندر تأكل وتشرب بنهم حتى الآن .
- بينما الهاشمى يبيع ناموس دين المصطفى [2] ، فى حين أن التركى المناضل يتمرغ فى التراب والدم .
- فالنار لا تزال مشتعلة ، وأولاد إبراهيم والنمرود لا زالوا على قيد الحياة ، فهل يريد أحد أن يمتحن آخر للمرة الثانية .

جـــواب الخضـــر

(الهيام فى الصحراء)

- لماذا تتعجب من هيامي في الصحراء ، إن الحركة المستمرة هي دليل الحياة .
- يا رهين البيت إنك لم تر تلك المناظر ، عند صلصلة الجرس فى فضاء الصحراء وقت الرحيل .
- فالغزال يمشي متبختراً غير مكترث على تلال الرمل ، هو في الحضر بلا عشب وزاد وفي السفر بلا ميل وفرسخ .
- وبزوغ النجم الفضي فى ضجيج الصباح ، وجبين جبريل يظهر فى سقف الفلك
- وغروب الشمس فى سكون ليل الصحراء ، جعل عين الخليل المبصرة للدنيا تزداد رؤية .
- ومقام القافلة على عين الماء ، مثل تحلق المؤمنين فى الجنة حول السلسبيل .

---

[1] انظر الحوار بين موسى والخضر فى سورة الكهف . (المترجم)

[2] إشارة إلى الشريف حسين الهاشمى وتحالفه مع الإنجليز . (المترجم)

- إن جنون الحب يبحث عن الأماكن المهجورة الجديدة ، وأنت فى العمران أسير سلاسل الزرع والنخيل .
- إن كأس الحياة تكون أكثر صقلاً بالتجوال المتواصل ، فيا أيها الجاهل هذا سر دوام الحياة .

الحيـــــاة

- الحياة أسمى من التفكير فى الربح والخسارة ، فالحياة تكون روحاً حيناً ، وتضحية حيناً آخر .
- والحياة لا تقدر بمقياس اليوم والغد ، فالحياة سرمدية مستمرة ، وتجدد شبابها كل لحظة .
- لو كنت في عداد الأحياء فاخلق بنفسك دنياك ، فالحياة هى سر آدم وضمير "كن فيكون" .
- فاسأل قلب الحفار عن مغزى الحياة ، فالحياة هى نهر اللبن ، وهى المعول والجبل .
- التكبل فى العبودية مثل جدول شحيح المياه ، بينما الحياة فى حرية مثل البحر الزاخر بلا حدود .
- ظهورها فى قوة تسخيرها ، مع أن الحياة مستترة فى الهيكل الطينى (الإنسان) .
- ولقد بزغت كالحباب فى بحر الوجود ، والحياة اختبار لك في بيت الخسران هذه
- وما دمت خاماً فأنت كومة من التراب ، وعندما تنضج تصبح سيفاً مسلولاً .
- ومن كان قلبه يخفق للموت من أجل الصدق ، فعليه أن ينفخ الروح فى جسده الترابي .
- ويحرق الأرض والسماء المزيفين ، وليصنع من رمادهما عالماً لنفسه .
- وأن يوضح قوة الحياة الكامنة ، حتى يتمكن من أن يولد الشرر الخالد .
- وتتلألأ كالشمس على تراب المشرق ، وتتمكن بدخشان * من تصنيع الياقوت الثمين ثانية .
- ويرسل بكاء المتعبدين فى الليل سفيره إلى السماء ، ويجعل من نجوم الليل محرماً لأسراره .
- وهذه ساعة الحشر وأنت فى ساحة المحشر ، فتقدم بعملك يا أيها الغافل لو كان فى سجلك شئ .

السلطـــة

- أقدم لأخبرك برمز آية "إن الملوك" (١) ، فإن السلطة هى سحر الأمم المنتصرة.
- وإن استيقظ المحكوم من نومه لحظة ، أنامه سحر الحاكم مرة أخرى .
- فإن عين آياز بسبب تأثير سحر محمود ، ترى من فى جيده حلقة قيثارة الحب .
- وعندما يغلى دم إسرائيل فى نهاية الأمر ، فإن موسى يحطم سحر السامرى .
- فالحكم جدير بالذات التى لا صنو لها فقط ، فهو الحاكم وحده والباقى أصنام آزر .
- لا تحط من قدر الفطرة الحرة بالعبودية ، ولو نحت لنفسك إلاهاً فأنت أكثر كفراً من البرهمى .
- والنظام الجمهورى هو اللحن الغربى القديم ، الذى لا يتوفر فى أوتاره إلا حوت القيصرية .
- ويرقص شيطان الاستبداد متخفياً فى عباءة الجمهورية ، وأنت تعتبره حورية الحرية الحسناء .
- إنه مجلس القوانين والإصلاح ومراعاة حقوق الناس ، فالطب الغربي طعمه لذيذ لكنه يبعث على النوم .
- وهناك حماس فى حديث أعضاء "مجالس الأمان" ، وهذا أيضا من دسائس الرأسماليين .
- وتحسب أن سراب اللون والأريج روضة ، آه ! أيها الغافل إنك تظن القفص عشاً .

رأس المـــال والعمـــل

- بلغ رسالتي للعبد الأجير ، ما رسالة الخضر ؟ إنها رسالة الكائنات .

---

* مدينة بدخشان اشتهرت بصناعة الأحجار الكريمة .(المترجم)

(1) **إشارة إلى قوله تعالى : "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون" سورة النمل : ٣٤ . (المترجم)**

- يا من أكل حقك الرأسمالي المحتال ، وعشت قروناً في عرس المخدوعين .
- فالسواعد التي تجلب المال تجد الأجر ، مثلما يؤدي الأغنياء الزكاة للفقراء .
- وقد منحك ساحر "الموت" [1] ورق الحشيش ، وظننته أيها الغافل أغصان النبات
- فالنسل والقومية والكنيسة والمملكة والحضارة واللون ، كلها مناسبة لصناعة مسكرات الحكام .
- وكم من مرة كنت ضحية الآلهة الخياليين بغير علم ، لقد أفنيت حياتك في لذة السكر .
- لقد نجح الرأسمالي في لعبة حبائل المكر ، وانهزم بمنتهى البساطة ومات العامل
- انهض الآن "فمجلس العالم" له أسلوب مختلف ، وهذه بداية عهدك في الشرق والغرب .
- إن الهمة العالية لا تقبل بالنهر فقط ، فإلى متى يظل الندى في ذيلك مثل البرعم الغافل .
- إن نغمة يقظة الجمهور هي لذة العيش ، فإلى متى نسمع قصة الإسكندر وجمشيد التي تجلب النوم .
- أشرقت الشمس الجديدة من بطن الحياة ، فإلى متى تقيم السماء مأتماً على النجوم الغاربة .
- إن فطرة الإنسان حطمت جميع الأصفاد ، فحتى متى تزرف عينا آدم الدموع على ابتعادها عن الجنة ؟
- لتنهض أيها الفراش الغافل! وتحرر من الطوف حول الشمع ، وعش بفطرتك المتجلية .

العالــم الإسلامــي

- لماذا تحكي لنا قصة الأتراك والعرب ؟ إن حرقة المسلمين ونغمتهم لا تخفى عليّ .
- لقد رحل أولاد التثليث بميراث الخليل ، وصار تراب الحجاز حجر أساس الكنيسة .
- لقد أُحتقرت الطاقية الحمراء اللون (الطربوش) في هذا العالم ، كانوا أعزة في الماضي وصاروا اليوم أذلة .
- وما زال الفرس ينالون الخمر من حانات أوروبا ، وهي تلك الخمر التي تذيب حرارتها الدنان .
- لقد مزقت حكمة الغرب الأمة إرباً ، كما يقطع ماء النار الذهب .
- وصار دم المسلم رخيصاً مثل الماء ، وأنت مضطرب لأن قلبك ليس عالماً بالأسرار .
- قال الرومي : عندما يشيدون مبنى مكان مبنى قديم ، ألا تعلم أن أول ما يفعلونه هو إزالة الأساس .
- تفتحت عيون الملة عندما فقدوا الملك ، وقد منحك الله البصيرة فاعتبر بها أيها الغافل .
- إن الهزيمة أفضل من استجداء مومياء ، يا أيتها النملة الضعيفة لا تقدمي حاجتك لسليمان .
- إن نجاة المشرق مرتبط باتحاد الملة البيضاء ، والآسيويون يجهلون هذه الفكرة حتى الآن .
- فاترك السياسة ، وادخل حضن الدين مرة ثانية ، لأن الملك والمال من ثمار حارس الحرم فقط .
- فليتحد المسلمون لحراسة الحرم ، من ساحل النيل حتى تراب كاشغر .
- وسوف يمحى كل من يميز بين اللون والدم ، سواء كان تركياً صاحب الخيمة أم عربيا صاحب البيت .
- لو تقدم عنصر العصبية على دين المسلم ، فسوف يتطاير من الدنيا كتراب الطريق .
- ومن أجل أن تقوى أسس الخلافة في الدنيا ثانية ، عليك أن تجتهد وتبذل قصارى جهدك كالأسلاف .
- فانتبه يا من لا تعرف الفرق بين الظاهر والباطن ، فحذار يا أسير أبي بكر وعلى رضى الله عنهما .
- كان النواح من ضروريات الحب فانتهت هذه العادة ، فتمالك القلب قليلاً وانظر أثر النواح .
- لقد رأيت عروج سطوة النهر وسرعته ، فانظر الآن كيف يصبح الموج المضطرب قيوداً .
- فانظر أيها المسلم اليوم إلى تفسير حلم الحرية العامة التي رآها الإسلام في المنام .
- إن ترابنا هو متاع الوجود للبحر ، فانظر إلى بعث هذه الدنيا العجوز بعد موتها ثانية .
- وافتح عينيك في مرآة حديثي ، وانظر إلى الصورة الباهتة للعهد القادم .
- توجد فتنة مجربة أخرى عند الفلك ، فانظر إلى ذل التدبير أمام التقدير .

---

[1] قزاوين شمال إيران وتسمى قلعة الموت وتوفى عام ١١٢٤هـ . (المترجم)
هو الحسن بن الصباح مؤسس فرقة الحشاشين وكان من دعاة الفاطمية واعد جنة أرضية في منطقه . (المترجم)

- ليكن قلبك أيها المسلم عامراً بالأماني ، ولتكن نصب عينيك كل وقت آية "لا يخلف الميعاد" [١] .

طلـــوع الإسلام [١]

- إن خفوت ضوء النجوم دليل الصباح المنير ،
- وطلوع الشمس من الأفق ،
- ومضي عهد النوم العميق ،
- وجريان دماء الحياة فى عروق الشرق الميتة،
- فلا يمكن لابن سينا والفارابى فهم هذا السر .
- وقد جعل طوفان الغرب من المسلم مسلماً حقيقياً ،
- فتلاطم موج البحر هو الذى يروي اللؤلؤ ،
- وسيمنح الله المؤمن مرة أخرى ، عز التركى والهندى وبيان العربى .
- أيها البلبل إن بعضا من أثر النوم لا زالت باقية فى البراعم .
- وعندما تجد ذوق اللحن خافتاً غنّ بصوت أكثر مرارة .
- إن الاضطراب يكون فى حضن الحديقة والعش والأغصان ،
- لا يمكن للاضطراب أن ينافس الزئبق .
- أن للعين المجردة أن ترنو إلى سلاح الفارس ،
- ويمكن أن ينظر إلى حرقة كبد الرجل الغازى .
- فلتنير مصباح الأمل فى ضمير شقائق النعمان ،
- ولتجعل فى كل ذرة من ذرات الحديقة شهيداً للبحث .
- آثار الأمطار واضحة فى عبرات عيون المسلمين ،
- وسوف تظهر اللآلى ثانية فى بحر الخليل .
- وسيجمع شتات كتاب الملة البيضاء ثانية ،
- فقد الآن الوقت ليورق هذا الغصن الهاشمي ويثمر .
- لقد سلب تركي شيرازى قلب تبريز وكابل ،
- ونسيم الصبا يجعل أريج الوردة مرتبطاً بسفرنا .
- فلو تحطم جبل الحزن على العثمانيين فما فائدة الحزن ،
- فالسحر ينشأ من دماء مائة ألف نجم .
- إن تسيير شئون الحياة أصعب من سياسة العالم ،
- وعندما يصير الكبد دماً تتولد البصيرة فى عيون القلب .
- فالنرجس يبكى منذ الآلاف السنين لأنه لا يبصر ،
- والمبصر لا يتجلى فى الحديقة إلا بشق الأنفس .
- نح أيها البلبل فإن نغماتك ، تخلق كبد الشاهين فى جسد الحمامة الضعيفة .
- ولتفش سر الحياة الكامن فى صدرك ،
- ولتقص قصة حياة حرقة المسلمين وألحانهم .
- أنت يد القدرة الدائمة وأنت لسان الله ،
- فتيقن أيها الغافل فى نفسك فإن الظن تغلب عليك .
- فمنزل المسلم أبعد من السماء الزرقاء ، وأنت القافلة ، وغبار طريقها النجوم .

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى : "ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد" (آلعمران – ٩) . (المترجم)

(1) ترجم الصاوى شعلان هذه القطعة فى كتابه إيوان إقبال شعراً . (المترجم)

- المكان فان والمكين آن والأزل لك والأبد ، أنت آخر رسائل الله والخلود لك .
- ودم كبدك كحناء عروس الشقائق ، أنت إبراهيمى النسب أنت عمران الحياة .
- فطرتك أمينة على كل إمكانيات الحياة ، وأنت امتحان لجوهر الحياة المضمر .
- أنت الهدية التى اصطبحتها النبوة معها ،
- وظهر من عالم الماء والطين عالم الخلود .
- وظهرت هذه الحكمة من سيرة الملة البيضاء : فأنت حارس شعوب آسيا .
- ولتعد قراءة دروس الصدق والشجاعة والعدل ،
- عندئذ سوف تكون قيادة العالم من مهامك .
- قصد الفطرة ورمز المسلمين هو أن تعم الأخوة فى الدنيا ويكثر الحب .
- فلتحطم صنم اللون والدم ولتندمج فى الملة ،
- حتى لا يضل فيك التورانى ولا الإيرانى ولا الأفغانى
- إلى متى تظل وسط الأغصان وفى صحبة الطيور فى الحديقة ؟
- أوجد في ساعدك قوة تحليق الشاهين الجبلى .
- إن يقين الإنسان المسلم فى عالم الظنون ،
- كقنديل راهب فى ليل الصحراء المظلم .
- من الذى أزال استبداد قيصر وكسرى ؟
- إنها قوة حيدر وفقر أبى ذر وصدق سليمان .
- وأحرار الأمة طووا الطريق بتجمل ،
- والمشاهدون فى حيرة من أمرهم وأسرى منذ قرون .
- إن ثبات الحياة فى الدنيا مرتبط بالإيمان ،
- حتى بدا التورانى أكثر جلداً من الألمانى .
- عندما تكون الجذوة فى التراب ينشأ اليقين ،
- وتخلق لنفسها ريش وجناح الروح الأمين .
- لا تفيد السيوف ولا الحيل فى العبودية ،
- وتتحطم الأغلال عندما يتولد ذوق اليقين .
- فهل من أحد يستطيع أن يقدر قوة ساعده ،
- فالأقدار تتغير من نظرة الرجل المؤمن .
- فالحكم والملوكية وتسخير العلم بالأشياء ، ما هى إلا تفسير لفكرة الإيمان .
- ومن الصعب إيجاد النظر الإبراهيمى ، والهوس يكون صوراً فى خبايا الصدور
- إن فساد البشرية نتيجة التفريق بين السيد والعبد ،
- فلتحذروا أيها الناس فإن عقاب الفطرة عظيم .
- الحقيقة واحدة فى كل شئ سواء كان هذا الشئ ترابى أم نورانى .
- فلو مزقت قلب الذرة لتقطر منها دم الشمس .
- إن اليقين المحكم والعمل المتواصل والحب الذى فتح العالم ،
- هى سيوف الرجال فى جهاد الحياة .
- ماذا يجب على المرء إلا سمو الطبع وصفاء المشرب ،
- ودفء القلب وطهارة النظر ، واضطراب الروح .
- والذين لم ينمو لهم ريش ولا جناح قفزوا مثل العقاب ،
- لاحت نجوم الليل بعد أن غرقت فى دماء الشفق .
- ودفن السباحون تحت أمواج البحر ،
- ونجا الذين يتلقون صفعات الموج كأنها لآلىء .
- وصار الذين يفتخرون بالكيمياء غباراً للطريق ،
- والذين كانوا يضعون جباههم على التراب كصناع الإسكير.
- وجاء لنا رسولنا برفق ومعه رسالة الحياة ،
- واتضح أن الذين كانوا يتلمسون أخبارهم عن الصواعق جهلاء .
- وفقد الحرم قدسيته بسبب ضيق نظر شيخ الحرم ،
- كم كان شباب التتار أصحاب بصيرة ثاقبة .

- والملائك النورانيون يحلقون فى السماء يقولون للأرض :
- لقد بدأ الترابيون أكثر حياة وخلوداً ونوراً .
- ويحيى المؤمنون فى الدنيا مثل الشمس ، فيغربون هنا ويشرقون هناك .
- اليقين هو رأسمال الأفراد لبناء الأمة،وهذه القوة هى التى تصور مكانة الأمة .
- أنت سر "كن فكان" فلتجعله نصب عينيك عياناً ،
- ولتعرف سر الذاتية ولتكن ترجماناً للذات الإلهية .
- وقد فرق الطمع البشرية ، فلتكن بياناً للأخوة ولتصبح لساناً للحب .
- فهذا هندى وذاك خراسانى وهذا أفغانى وذاك تورانى ،
- أيها الخجول إلى الساحل ! اقفز .. وصر كبحر يغطي الشواطئ .
- إن ريشك وجناحيك ملوثان بغبار اللون والنسب ،
- فيا طائر الحرم انتفض قبل أن تطير .
- ولتغرق أيها الغافل فى الذاتية فهى سر الوجود ،
- واخرج من دائرة الصباح والمساء وكن خالداً .
- ولتعد سيرة الفولاذ فى مصاف الحياة ،
- ولتكن ناعماً كالحرير فى مهد الحب .
- ولتمر كالسيل الكاسح من الصحارى والجبال ،
- ولتصبح كالنهر الشادي عندما تسير فى الحديقة .
- إن عملك وحبك ليس لهما حدود ،
- وليس هناك فى ألحان الفطرة لحن أشجى من لحنك .
- والمرء صيد غث للسلطة حتى الآن ،
- ويا للهول عندما يصبح الإنسان صيداً لإنسان آخر .
- نور الحضارة الحديثة يغشى العيون ،
- لكن هذه الصناعة مرصعة بفصوص زائفة .
- والحكمة التى كان عقلاء الغرب يتيهون بها ،
- صارت كسيف المبارزة فى قبضة الطمع المدرجة بالدماء .
- فالحضارة التى تقوم فى العالم على أساس الرأسمالية ،
- لا يمكن أن تكون محكمة بسحر التدبر .
- إن العمل هو الذى يجعل من الحياة إما جنة أو جهنم ،
- أما هذا الترابي فهو بفطرته لا نوراني ولا ناري .
- فتعلم من البلبل الشدو الذى تتفتح منه البراعم ،
- فأنت نسيم ربيع هذه الحديقة .
- إن جذوة الحب قد دبت فى قلب آسيا ،
- وصارت الأرض ميداناً للتتار أصحاب العباءات الحريرية .
- فتعال ! فقد وجدنا المشترى لهذه الروح المهيضة ،
- فبعد بُعد فترة مرت علينا القافلة .
- هيا أيها الساقى لقد وصل إلى مسامعنا صوت الطائر على الأغصان ،
- أتى الربيع وجاء الحبيب وحل الهدوء .
- ونصبت سحب الربيع الخيمة على الوادي والصحراء ،
- وتعالى صوت الشلالات المتدفقة من قمة الجبل .
- أيها الساقي إن رأسي تدور فاحضر آلة القانون القديمة ،
- فقد حضر المغنون زرافات زرافات .
- ولتتجنب الزهاد ولتحتسي الكأس بجرأة ،
- فقد ظهرت آلاف الأصوات من فوق هذا الغصن القديم .
- ولتحكي للمشتاقين قصة سيد بدر وحنين (عليه الصلاة والسلام) ،
- فقد ظهر سره على عيني .
- وسنروي غصن الخليل بدمائنا ثانية ،
- فذهبي في سوق الحب كامل العيار .

- أنا أنثر أوراق شقائق النعمان على تراب الشهيد ،
- وقد أصبح دمه مناسباً لغصن ملتنا * .
- فتعالى لننثر الورود ونصب الخمر في الكؤوس ،
- ونشق شفق السماء ونمهد طريقاً آخر .

غزليـــات

– ١ –

- يا نسيم الصبا احملي رسالتي ، لقد ضاع الدين والدنيا معاً من قبضة الأمة المسكينة .
- وقد سلمت شفاة الشاطئ رسالة إلى الموج المضطرب ، وصال البحر بعيد الآن عن النهر فقد انتهى صراع الاضطراب .
- يا قيس إن كبرياء الحب منوط بحجاب المحمل ، وعندما ذهب المحمل ضاعت العزة والغيرة وليلى أيضاً .
- عندما تركت الفطرة السعي والجهد نالت عزة اللؤلؤ ، وضاعت وانتهى صراع البحر وسط تشرد الفطرة .
- صدى من هذا الذى خرج على شفاه إقبال ، وأوصل رسالة السكون أو جعل قلب المحفل قلقاً .

– ٢ –

- إن شدو اليمامة والبلبل هو خداع للأذن ، وباطن الصخب فى الروضة صامت .
- فهل هذا من تأثير كئوسك يا خمر الغرب ، فصار الساقي ضاحكاً وأفقد كل من فى المحفل وعيه .
- لا توجد ورقتك فى منزل حزن الدهر ، فهل الخلق جريمة إذا أخفيت نفسك .
- وا آسفاه القلب الذى تعده الدنيا قلبا ليس بقلب ، إنما هو مجرد ضجيج فى جانب المرء .
- فسر فى طريق الحياة ولكن تمهل فى مشيتك ، واعتبر أنك تحمل على كتفيك منزلاً من زجاج .
- وا آسفاه يا إقبال إن ذلك البلبل صامت الآن ، الذى بأنفاسه حدث تقارب بين دهلى ولاهور.

– ٣ –

- أيها البلبل التائه إن أنينك لم ينضج بعد ، فعليك أن تحبسه قليلاً في صدرك .
- العقل يصير ناضجاً لو فكر في المصباح ، بينما العشق الذى يفكر في المصباح غير ناضج .
- وقد قفز العشق فى نار النمر دون مخاطر ، والعقل ينظر إلينا شارداً من حافة السقف .
- والعشق أسرع رسول فى تنفيذ عمله ، بينما العقل لم يفهم معنى الرسالة حتى الآن .
- لو كان العشق من طبعك فتحرر من قيد الزمان والمكان لكنك للأسف من عباد بيت أصنام الأيام .
- يغضب الساقى عندما يسمع منى الاعتذار ، ففى قلبك رهبة من العاقبة حتى الآن .
- السعى المستمر هو ميزان الكم والكيف فى الحياة ، بينما ميزانك هو حساب الصباح والمساء .
- يا سحاب الربيع إلى متى هذا العطاء القليل كالندى ، وكئوس شقائق النعمان الجبلية خالية الآن .
- الشفاة وخمرتي عربية ، وشاربو الخمر يرتبكون من احتساء الشراب فى كئوسي .
- حمل النسيم لإقبال خبراً من الحديقة ، فحواه أن الأسير الجديد فى قاع الشبكة حتى الآن .

– ٤ –

- ارفع عن وجهك الحجاب وزين المجلس ، واجعل عيون الشمس والقمر والنجوم ترنوا إليه .
- أنت كالبرق فإلى متى هذا اللمعان الكامن فيك ؟ عليك أن تتعرف على قلبي دون أى حجاب .
- إن تأثير النفس الحارة هو إعجاز الحياة ، ولو تحمل هذه النفس فى صدرك فأنت كالمسيح .

---

* هذا البيت بالفارسية .

- إلى متى تستجدي على الطور مثل الكليم ، عليك أن تخلق شعلة سيناء عياناً فى وجودك .
- فلتعمر الحرم بكل ذرة من ذرات ترابك ، وابعد قلبك عن طريق الكنيسة الموحش .
- ليس الخروج عن الحد بالشئ الجيد فى هذه الحديقة ، لأن دلالك يكون بقدر ما فيه من حسن .
- يجب أن تكون أولاً معتزا بنفسك مثل الإسكندر ، وبعد ذلك تنال المجد والحكم فى هذه الدنيا .
- يا إقبال ! سوف تجد يوما منزل ليلى ، فعليك الآن أن تطوي أياماً أخرى فى الصحراء .

— ٥ —

- هب نسيم الربيع ثانية فانظر يا إقبال ، تنشد الغزل فتصير البراعم ورودا ، وتتحول الورود إلى بستان .
- أنت قبضة تراب فعليك أن تغضب وتضطرب ، وأن تتسع فى الصحراء من حرارة الأجزاء .
- الحب بضاعتك ، وأنت غالي الثمن ، إلا أن تجار هذه البلدة لا يملكون الثمن فأرخص !!
- لماذا تظل ألحانك مختفية وراء الحب ؟ فأنت نغمة جميلة تصغي لها كل أذن .
- أيها المسافر الفطن لو صادفت الروضة فى طريقك ، فلتكن لها ندى ولتكن مثل الفيضان للصحراء .
- إن الراحة الجسدية مضمرة فى حب المتاع ، فإن كان المنزل هو الهدف فاهجر المتاع .

— ٦ —

- أيتها الحقيقة المنتظرة التجلي فى ثوب المجاز ، لأن آلاف السجدات تضطرب فى جبين حاجتي .
- ولتطرب بالضجيج ، وأنت لحن محرم الأذن ، ما قيمة الغناء المختفي فى صمت حجاب اللحن .
- لا تحافظ على مرآتك فإن مرآتك ، عندما تنكسر تكون عزيزة فى عين صانعها
- قالت الفراشة أثناء طوافها حول الشمعة : إن ذلك الأثر قديم ، لم يذكر في حكاية حرقتك ولا في حديثي المؤثر.
- لم أجد الأمان في أي مكان فى العالم لا أجد الأمان ؟ إلا في عفوك على عبدك في بيتي ، بيت الجريمة الخرب .
- لم يعد فى العشق حرارته ولم يبق فى الحسن شقاوته ، ولم يعد الاضطراب في الغزنوي * والتموج في ضفائر إياز.
- عندما سجدت برأسي انبعث صوت من الأرض قائلاً : ماذا ستجد فى الصلاة وقلبك يفكر فى الصنم .

— ٧ —

- ما الفائدة فى أن تظل طيور الروضة فى قاع الفخ وهي عليمة بفن الغزل ، ما الفائدة إذا كان العويل المضطرب فى القلب لم يتعد الشفاة .
- ولم تتمكن جلوتك أن تسلي القلب غير الصابر ، فالنواح وقت السحر وآهات تصف الليل على حالهما .
- لم يبق الإله ولم تبق الأصنام ولم يبق رقيب الدير والحرم ، ولم يبق أسد الله ولا أبو لهب في أى مكان .
- بالرغم من أن ألحاني ظلت فى إطار ضربات العجم الظالمة ، إلا أننى شهيد ذوق الوفاء فى حين أن صوتى عربى .

— ٨ —

- بالرغم من أنك سجين الأسباب ، لكن عليك أن تحرر قلبك قليلاً .
- وليس للعقل فرصة إلا النقد ، فلتضع أساس الأعمال على العشق .
- أيها المسلم ضع آية "لا يخلف الميعاد" ، نصب عينيك كل ساعة .
- فهذه رسالة "لسان العصر" فلتذكر "إن وعد الله الحق" .

---

* أى محمود الغزنوى (المترجم).

قطوف من شعر الفكاهة

-١-

- العرف فى الشرق يصير ديناً ، لكن فى الغرب يتحول إلى آلة .
- ليس لدينا أى شئ طرفنا ، أما عندهم فتتكاثر الأشياء فالواحد يصبح ثلاثة .

-٢-

- البنات يدرسن اللغة الإنجليزية ، والأمة تبحث عن طريق الفلاح .
- ووضعوا أمام أعينهم طرق الغرب ، التى يعتبرونها فى الشرق إثماً .
- فأي المشاهد تعرض فى هذه المسرحية ؟ فالعين تنتظر رفع الستار .

-٣-

- الشيخ كذلك لا يدافع عن الحجاب ، وطلاب الكلية يسيئون الظن به دون داعٍ .
- قال فى خطبته أمس بكل وضوح ، عن من تتحجب المرأة ما دام الرجال جميعاً صاروا نساء .

-٤-

- أيها الرجل العاقل إن هذا لن يستمر طويلاً ، فسوف تفقد العزة ولن ترغب المرأة فى الحجاب .
- وسيأتى على الإنسان حين من الدهر يبيع أولاده ، لينال الأصوات لعضوية المجلس .

-٥-

- إن تعليم الغرب يبحث على الجرأة ، فالدرس الأول فى الكلية هو المبالغة فى الكلام .
- ولا يوجد فى الهند غير المشترين ، لذلك يأتي السيد من وطنه بالنبتة المسببة للأمراض
- هذا هو حالي فأنا جاثم أمام قدميه ، فانظر إنه يأمرني بالفحشاء على فراشي .
- وبدأ يقول إن الجمل حيوان قبيح ، والبقرة جميلة فانظر إلى قرونها يا لها من مدببة .

-٦-

- لا تحزن لأن حضرة الواعظ لديه ضيق ذات اليد ، فهو يحني رأسه أمام الحضارة الحديثة .

- وكتب كثيراً فى رفض الجهاد ، ويجب أن يكتب رسالة فى منع الحج .

-٧-

- هل يستفيد مريض الحضارة من الأقراص ؟ ينبغي تقديم الأقراص المفيدة لعلاج المرض .
- مر على الإنسان حين من الدهر كان يرغب فى أن يقدم ، خدمة للأستاذ على ما يقوم به من عمل .
- لقد تبدل الزمن وصار الطالب يقول للأستاذ بعد الدرس "قدم الفاتورة " .

-٨-

- كيف تكون النهاية وإلى متى يشترون الشماسي والمناديل والقمصان من اليابان .
- فلو ظلت غفلتنا قائمة فسيأتي غاسلو الموتى من كابول وتأتى الأكفان من اليابان .

-٩-

- نحن مساكين الشرق ترتبط أفئدتنا بالغرب ، عندهم الإبريق البلورى وعندنا آنية من الفخار .
- وسوف يُمحى الجميع فى هذا العهد ، ولن يبقى إلا المتمسك بقيمة القوى الذي لا يتزحزح .
- أيها الشيخ والبرهمي هل سمعتما ماذا يقول أهل البصيرة ، يقولون إن الفلك قد محا أمم كثيرة كم كانت متقدمة ؟
- لقد كانت هناك مجالس مع الحبيب وكان دستور الحب قائماً ، أيوجد صراع بين اللغة الأردية والهندية أو بين الضحية وقتيلها ؟

-١٠-

- أصل الشهود والشاهد والمشهود واحد ، ولو صح قول غالب فلماذا يذكر الغير ؟
- فيا جناب الشيخ هل علمت ، ماذا كان يقول أهل الدير لأهل الكعبة بالأمس ؟
- نسأل المسلم العاشق ، إذا كنت تحب الأصنام فلماذا أنت غاضب من البرهمى ؟

-١١-

- لقد ضاع طرف الدنيا من أيدينا ، وغادر الفكر المعاد القلوب كذلك .
- كان الشيخ الجليل يحارب من قانون الوقت ، فاسألوه هل لديه ميراث (أملاك) للوقف ؟

-١٢-

- قالت الآنسة عندما قررت الانتحار ، أنت مهذب أيها العاشق فلا تخرج قدمك عن حد الدهر .
- فما هدفك من قتل نفسك وليس لديك الجرأة ولا الخنجر ، واعتقد أن ألم فشلك تجاوز الحد .
- قلت : يا روح العالم امنحيني بعض الحب نقداً ، وإلا سأستأجر أي أفغاني من إقليم الحدود *.

-١٣-

- لقد كان الأتراك جهلاء لأنهم لم يدركوا قدر العرب ، والنتيجة لم ينج أحد من الحرب والإيذاء .
- إنهم فى الغرب يسمون الجهل سفينة الصحراء ، ولكن الأتراك لم يستخدموا هذا الأسطول .

-١٤-

- الحكومة فى الهند ما هي إلا مجالس ، وهذه هو بداية نضجنا السياسي .
- كنا فقراء وكان هذا عملنا ، فعلى الأغنياء كذلك أن يتعلموا سليقة السؤال .

-١٥-

- إن الحصول على عضوية المجلس الملكي لا تمثل أدنى مشكلة ، سوف تنال الأصوات فهل تعطينا المال ؟
- فليرحم الله مرزا غالب فقد كان رأيه فى موضعه ، "إنني أقبل البقاء فى دهلى لكن ماذا آكل" ؟

-١٦-

* مشهورون بالجرأة والشجاعة (المترجم).

- هل يوجد دليل على الحب والوفاء أعظم من هذا ؟ فإذا لم نحبك ونألفك ما تحملنا هذا الظلم .
- وهو مُصر على أن نقول شيئاً فى لجنة الدائرة ، لكن علينا أن نعرف ما يرضي حاكم الولاية .
- ولتحصل على الشهادة فهي مفيدة للأولاد ، هو رحيم الآن ولا ندري هل سيستمر هكذا فيما بعد أم لا ؟
- ولن يجد الهنود مكاناً لهم على الأرض ، لكنهم يجدون مكاناً لهم فى هذا العالم فى قاع البحار .
- إنهم يطيعون الأوامر مثل السفينة الصماء ، يقال لهم رابطوا على الساحل حينا ويقال لهم تحركوا حيناً آخر .

-١٧-

- كان الشيخ لا يزال يعظ عن أسلوب العمل ، وأن كفار الهند بارعون فى التجارة .
- فمن يتعامل مع المشترين هم مشركون مثلهم ، لكن قومنا محرومون من العقل والتفكير .
- كل شئ غير طاهر يكون من صنع يد الكافر ، فاسمع أيها المسلم لو عندك أذن تستمع للحق .
- وكان أحد شاربي الخمر مشاركاً فى محفل الوعظ ، وكانت نصيحة الواعظ حملاً ثقيلاً على أذنيه .
- بدأ يقول : إنه لمن الظلم أن ترتبط تجارة الطعام والشراب بمثل هذه القيود .
- فقلت : لا توجد مشكلة بالنسبة لك ، فإن الخطباء فى الهند يبيعون الخمر .

-١٨-

- فانظر إلى متى تستمر تجارة المشرق ؟ إنهم يشترون الكأس والإبريق بدلاً من مرآة الدين .
- ومداواة الجنون هي مبضع التعليم الجديد ، فيأخذ الجراحون دمي من وريد الأمة .

-١٩-

- احتدم النقاش ذات يوم بين الجمل والبقرة ، فقالت البقرة : لا شئ فى الدنيا يستقر على حاله .
- وقد حطمت قيودي بعد أن ساءت سمعتي ، ولقد سمعت أنك قطعت حبلك أيضاً .
- إن لك أهمية سياسية فى الهند ، بالرغم من أنك أصبحت عاطلاً فى صحراء العرب بعد أن سار القطار .
- لقد كنت حتى الأمس تحذر من مجلس البقرة ، وكانت كلمات التحذير على شفتك المشقوقة .
- ماذا حدث اليوم لكي تعتني بنا إلى هذا الحد ؟ فلم يبق على مرآة القلب ذلك الغبار القديم .
- وحينما سمع الجمل هذه الخطبة قال خجلاً : نحن كذلك فى زمرة المحبين لك .
- إن خطواتك التي تتيهين بها تثير حسد الجمل الأهوج ، ونحن مرضى مزمنين لدلالك .
- لقد انتشر تأثير ضجيجك فى الغابة كلها ، لدرجة أن البكم ظهرت لديهم الرغبة فى الكلام .
- ونعيش فى غابة واحدة منذ أمد بعيد ، بالرغم من أننا معدمون ونستدين لكي نعيش .
- فالخروف والجمل والبقرة والفهد والحمار ، نكون أكثر وقاراً لو تلونا بلون واحد .
- إن البستاني تعلم درس اللون الواحد ، فكيف لا تتغنى طيور الحديقة بنغمة واحدة .
- أعطني أنا أيضاً كأساً من هذه فهي مناسبة ، وعليك أن تكون فى حالة سكر أنت ورفاقك .
- عليك أن تلون خرقة "طفل حافظ" * بخمره ، وأحضره من طريق السوق وهو فى سكر بيِّن .

-٢٠-

- قالت لي البعوضة فى الليل ، إن فشلك نتيجة لما جنته يدك .
- فهم منحوني قطرة دم ، مكافأة لعطشي طول الليل .

---

* حافظ شيرازى .

- لكن ذلك الإقطاعي لم يجد أي عناء، فقد شرب دم الفلاح لآخر قطره .

-٢١-

- هذه الآية الجديدة نزلت علىّ من السجن ، وهى أن ما فى القرآن فى الجيتا [١] وما فى الجيتا فى القرآن .
- أجل ما أعظم التآلف بين الشيخ والبرهمي ، ونهاية هذه الحرب بلا منتصر ولا منهزم .
- كان "بدري" متبرم من المعبد من قبل ، بينما "مسيتا" لم يخرج من المسجد معانداً .

-٢٢-

- فلنسلم الروح ولكننا لن نتخلى عن الصدق ، فهذا الأمر فى تعاليم كل دين .
- الكفار جميعاً ملة واحدة ، سواء كانوا رأسماليين أو إقطاعيين أو ملكيين .

-٢٣-

- لقد استعد كل من العامل وصاحب المال للحرب فى هذه الدنيا ، لنرى أي منهما ستدفن أمانيه !
- ولا تستطيع إخماد هذه الفتنة بالحكمة والتدبير ، كما تقول الآية "وقد كنتم به تستعجلون" [٢] .
- لقد انطلق جيش يأجوج ومأجوج بأكمله ، فلتنظر عين المسلم إلى تفسير كلمة "ينسلون" [٣] .

-٢٤-

[1] الجيتا هو الكتاب المقدس لدى الهندوس. (المترجم)

[2] يونس : ٥١ (المترجم)

[3] الأنبياء : ٩٦ (المترجم)

- لقد ودع السكير الغارق في سكره حدود الشام ، ضارباً عرض الحائط بجميع قوانين الحانة .
- فلو صح هذا الأمر فكم يكون مثيراً للعبرة ، مثلما تغير السماء الزرقاء لونها فى لحظة .
- والسيد "كرزن" * يفكر الآن فى معالجة الأمر بطريقة جيدة ، فهناك آلام مبرحة فى معدة الحكام . (*وزير الخارجية سنة ١٩١٩ استقال ١٩٢٥ م المترجم)
- وطلب السيد آغا خان إرسال وفد من الهند ، هل هذه وصفة لالتهام فلسطين والعراق ؟

-٢٥-

- وقع شجار ذات يوم بين مزارع ومالك ، وكان كلاهما يقول إن هذه الأرض ملكي .
- وكان أحدهما يقول : من يزرع الحقل يملكه ، ويقول الثاني لا عقل لك .
- فسألت الأرض من صاحبك ؟ قالت أنا متأكدة من هذا الأمر فقط .
- وهو أن الذي يحيا تحت السماء هو مالك الأرض ، سواء كان المالك أو المزارع سيئ الحال .

-٢٦-

- احملوها وادفعوا بها خارج الحارة ، فإن بيض الحضارة الحديثة فاسد .
- ما أعجب الفخاخ (الأغلال) التي أوجدتها الحرية ، مثل الانتخابات والعضوية والمجلس والرئاسة .
- والسيد النجار رحل مع المخرطة ، فمخارط الغرب حادة جداً .

-٢٧-

- مالك المصنع شخص عاطل ، يتنعم فى العيش ولا يروق له العمل .
- يقول الحق تعالى : "ليس للإنسان إلا ما سعى" ، فلماذا يأكل هذا الرأسمالي ثمار جهد العالم ؟

-٢٨-

- سمعت حوارا دار فى المصنع أمس ، على أرباب المهن الإقامة فى الأكواخ القديمة .
- بينما ابتنت الحكومة قاعة رائعة للمجلس ، ألم يكن بهذه المدينة تكية للأغنياء ؟

-٢٩-

- لقد بنى من لديهم حرارة الإيمان مسجداً أثناء الليل ، بينما قلب عاصٍ قديم لم يقدر أن يكون من المصلين على مر السنين .
- ما أعظم الرسالة التي سلمها السنوسي للأمير فيصل ، أنت حجازي الاسم والنسب لكنك لم تستطع أن تكون حجازي القلب .
- تغرورق عيونك بالعبرات لكن ما اللذة فى هذا النحيب ؟
- فلم تستطع الدموع أن تصير حمراء بعد أن تمتزج بدماء الكبد .
- إن إقبالا واعظ كبير يجذب القلوب بأحاديثه ، وقد صار مجاهداً بالكلام ،لا مجاهداً بالأعمال .

تمت بحمد الله